

الدليل إلى العربية

خلاصة تكوين المَلكـة اللغوية

تنبيه:

هذا الدليل أكثره ملخص من كتاب تكوين الملكة اللغوية للبشير عصام المراكشي.

وقد أضيف عليه بعض الإضافات المفيدة – أكثرها في الباب الثاني –، أهمها من الكتب الآتية:

- السبل المرضية لطلب العلوم الشرعية، أحمد سالم، ط1 مركز تفكر، 2016م.
- مدارج النحو، سالم القحطاني، ط1 عالم الأدب، 2019م.

ومادة هذا الكتاب مادة مختصرة مهذبة روعي فيها مناسبة المنهج الأدبي لبرنامجي "بوابة الأدب" و"زبدة الأدب"، ولا تُغني بتاتًا عن قراءة الكتب المذكورة، فقد كان من منهجنا في الاختصار: التصرف في نص الكتاب حذفًا وإضافة، وليعلم القارئ أنه لم يقصد في هذا الدليل استقصاء ذكر المراحل العلمية ومناهج الدراسة فيها، وإنما **يُراد من هذه المادة بالأساس إدراك القواعد المنهجية ومعرفة الأسباب التي يحتاج القارئ إلى تحصيلها لتكوين الملكة والعقبات التي تمنعه من الوصول إليها**.

ومن ثَمّ فإننا نوصي بالرجوع للكتب السابقة للاستزادة والتوسع والاستفادة من القوائم القرائية والمناهج المفصلة فيها.

وقد أرفقنا في نهاية هذا الكتاب أيضًا ملحق كتب ومقالات ومحاضرات نافعة في تعلم الأدب.

ونسأل الله أن ينفع بهذا الدليل، وأن يكتب له القبول.

فريق مدارج الأدب 1adabway@gmail.com

إضاءات

"أصحاب العربية جِنُّ الإنس، يُبصِرون ما لا يُبصِرُ غيرُهم".

الشافعي (آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم 112)

"الحذق في العلم والتفنن فيه والاستيلاء عليه، إنما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله".

ابن خلدون (المقدمة 166/2)

"فن الفصاحة والبلاغة غير فن النحو والإعراب".

ابن الأثير (المثل السائر 87/2)

".. قد بقي من قواعد فهم اللغة ما لا يعرف إلا بالممارسة التامة وتربية الذوق الصادق، بل إن القواعد المبسوطة المحررة لا يستطاع تطبيق أكثرها بدون ممارسة وحسن ذوق. وليس هذا خاصا بعلم العربية، بل الأمر كذلك في بقية العلوم..".

عبد الرحمن بن يحيى المعلمي (رفع الاشتباه 315/1)

"اللغةُ هي المدخل الحقيقي لمعرفة علومنا كلها وتاريخنا كله، والاستهانة بها والتفريط في قواعدها ورسومها = إنما هي استهانةٌ وتفريطٌ بمعارفنا وعلومنا كلها".

محمود محمد الطناحي (جمهرة المقالات 550/1)

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فإنه لا يخفى على المتأمل الفطن ما تعرفه الحالة اللغوية والعلمية للأمة، من تشتت لغوي مدمر، وبُعد خطير عن اللسان العربي الأول، وعجز مرَضيّ عند كثير ممن يُقتدى بهم، ويرتجى — بعد الله — خيرهم، من خاصة أهل الإسلام وخيارِ نخبتهم، عن التعبير العربي الفصيح عن المعاني المختلفة، قديمها ومستجدّها.

أما مَن هم دونهم من عامة المسلمين، فظنّ "شرًّا" ولا تسأل عن الخبر!

كما لا يخفى ما يعانيه التعليم — رسميا كان أو غيره — من تركيز على حشد المعلومات، وتقرير القواعد، في انقطاع تام عن تكوين الذوق اللغوي البعيد عن المؤثرات الخارجية، والقريب — ما أمكن — من الذوق العربي الأصيل.

والذين يُنتجهم هذا التعليم المختلّ، يجدون أنفسهم في حاجة ملحّة إلى تكوين ملَكتهم اللغوية، عبر خطوات عملية واضحة المعالم، تقودهم من هوامش اللغة إلى مركزها، ومن القواعد الجافة إلى رونق اللفظ وسلاسة التعبير.

ومن هنا كانت انطلاقة فكرة هذا الكتاب.

وقد جعلت من وُكدِي[1] حين نهدتُ إلى هذا التأليف، أن أعرض الإشكال أولا، ليشاركني القارئ الكريم في تصور معالمه، ومعرفة أسبابه؛ ثم أن أعرض ما أراه حلا لهذا الإشكال، وهو اقتراح خطة عملية لتحصيل الذوق العربي الخالص من الشوائب الطارئة بعد عصر السلف الأول، للوصول إلى فهم صحيح لنصوص الوحي، والتأهل للإبداع الفكري بلسان عربي فصيح.

وهكذا جعلت الكتاب في بابين اثنين، أولهما لعرض الإشكال والثاني لاقتراح الحل.

ووطأت لهما بمدخل تمهيدي نبهت فيه أولا على الارتباط الراسخ بين العربية ودين الإسلام، وعرّفت فيه ثانيا الملكة عموما، والملكة اللغوية خصوصا.

1 الوُكد: السَّعيُ والجُهدُ.

مدخل تمهيدي

المقصود من هذا المدخل إدراك مسألتين لا بد أن يستحضرهما القارئ على مر مصاحبته لهذا الكتاب:

أولاهما: مرتبة العربية من الدين وعلومه.

والثانية: معنى الملكة العلمية عموما، واللغوية خصوصا.

المبحث الأول: منزلة العربية من الدين

الإسلام والعربية مرتبطان لا ينفكان، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها!

وما رأيت يقينا لا شك فيه، أشبه بشك لا يقين فيه، من هذا المعنى!

وذلك أنه لا يرتاب مطلع على شريعة الإسلام، في أهمية العربية وكونها أساسا لا تقوم معرفة الدين ومراد الله من المكلفين، إلا عليه. ولكن الناظر في حال أهل الإسلام اليوم – ولا أستثني أهل العلم والدعوة إلا أفرادا قلائل – يتعجب ويشتد عجبه من إهمالهم اللغة العربية، وغفلتهم عن علومها وآدابها، إلا ما يكون من خُطب بين الفينة والأخرى في أهميتها ووجوب تعلّمها. أما القيام بأعباء ذلك عمليا، ومكابدة علوم العربية، والاشتغال بآدابها، فمرابعُ مهجورة لا تكاد تجذب إليها أحدا، غير أفذاذ من العلماء والطلبة!

والعربية أساس الدين، وركنه الركين[2]، علم ذلك من علمه وجهله من جهله!

وقد شاء الله تعالى أن يختار هذه اللغة، فيشرفها بأن تكون لغة كتابه العزيز، فقال سبحانه: (إنا أنزلناه قرآنا عربيا)، وقال تعالى: (بلسان عربي مبين)، في آيات أخرى كثيرة.

---

2 من أراد التفصيل فليرجع إلى كتاب: "الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية" لنجم الدين الطوفي الحنبلي (من ص233 إلى 279)؛ وكتاب: "روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام" لابن الأزرق الغرناطي (من ص89 إلى ص306).

وقد عصمنا الله تعالى – معاشر المسلمين – من أن نتابع الذين يزعمون التساوي بين اللغات، ولا يرون للعربية عليها فضلا. بل نحن نعتقد المفاضلة واجبا شرعيا، إذ كيف يستوي لسان هو لسان كتاب الخالق جل شأنه، بغيره من ألسنة الناس[3]؟!

ولو لم يكن للعربية بين اللغات إلا هذه المنقبة السامية، والفضيلة الخالدة، لكفاها؛ فتلك العزة القعساء التي لا ترام!

فكيف وقد زادت شرفا بكون أفضل الخلق ﷺ عربي اللسان، وبكون سادات الأمة من الصحابة والتابعين والأئمة عربا أقحاحا بالنسب أو بالثقافة.

وزد على ذلك كله هذا التراث الإسلامي الراقي في علوم الشريعة – وهي أفضل العلوم وأحراها بالعناية والحرص –، وكلّه مسطور بلسان عربي فصيح.

ولأجل هذا كله، لم يكن في مقدور المسلم أن ينتفع بالوحي إن لم يكن لديه من العربية الزاد الكافي.

وأول ذلك القراءة السليمة!

فإن قراءة القرآن قراءةً سالمة من اللحن الخفي والجلي، موافقةً لما قرأ به رسول الله ﷺ، لا تكون إلا بعد معرفة اللغة العربية، وإتقان قواعدها. وقد رأيت بعض من ارتمى إلى تعلم التجويد والقراءات، قبل تعلم قواعد النحو والصرف، يكابد من ذلك لأيًا مُمِضّا، ويجد في فهم كلام أهل القراءات عنَتا بالغا!

---

3 إن أريد التساوي في مناهج البحث اللغوي، وأصول التطور، والمباحث الصوتية، ونحو ذلك فهو ممكن وارد. أما المساواة في الفضل والمنزلة، فلا يكون ذلك أبدا!

وكذلك القراءة السليمة للأحاديث النبوية، والسيرة الشريفة، والآثار عن أئمة السلف، وكتب التراث الفقهي والعقدي والأصولي والتاريخي.

وبعد القراءة يأتي الفهم. فالعربية مفتاح فهم الوحيين والاستنباط منهما.

وما أجَلتُ طرفي في ضلالات الناس، وكثرة اختلافهم، وشدة انحرافهم عن الطريق القويم؛ إلا تيقنت أن مشكلتنا اليوم مشكلة فهم! والذي لا يعرف اللغة، ولا يمارسها، ولا يسمعها، ولا يقرأ بها، كيف نطالبه بفهم ما تحمله تراكيبها من المعاني – دقيقة كانت أو ميسورة؟!

كيف نطالب الناس بتدبر القرآن، وفهم مراد الله، والتأثر بزواجره ومواعظه؛ وأذواقهم اللغوية منحطة بكثرة ما يسمعون من الكلام العامي المبتذل؟

كيف نحصّن الناس من دعاة الضلالة الذين يخرجون كل يوم بفهم مبتدع جديد، لآية قرآنية أو حديث نبوي؛ وهم لا يميزون بين فهم وآخر، وتستوي عندهم لجهلهم بالعربية جميع الاستنباطات؟!

ولذلك فإن من تعلم العربية، فقد امتلك نصف علوم الشريعة، فليسلك الطريق إلى تحصيل النصف الآخر، وهو هانئ البال مطمئن النفس!

ولأجل ذلك، كثر في كلام أئمة الشرع الحض على تعلم العربية، واجتناب اللحن والتحذير منه، والتنبيه على أن دراسة علوم اللغة لا يقل عن دراسة أحكام الحلال والحرام.

قال الإمام نجم الدين الطوفي:

"ثم إنا ابتلينا بجهال متعلمي زماننا، وعجزة متمزهديهم، إذا ذكر الأدب بحضرتهم ينفض أحدهم كمّه، ويكلح وجهه، ويقول: معرفة مسألة من الحلال والحرام أحبّ إلي من كتاب سيبويه، ويتغالى في التمزهد، ويبالغ في التقشف، عجزا منه.. ولو نظر ببصيرته التي لم ينوّرها الله تعالى، وتأيّد في أمره لما قال ذلك، فإن المسألة التي يشير إليها من الحلال والحرام، إنما نشأت عن البحث عن معاني الكتاب والسنة، وتحقيق ألفاظهما، وتنقيح المراد بهما، وطريق ذلك العربية، وغيرها من المواد".

وللعربية دور كبير في ثلاث مجالات شرعية، هي أركان ما يطالب به المكلف.

أولها: العقيدة. وقد نص العلماء على أن الجهل بالعربية يؤدي إلى التخليط في العقائد، وما أُتي المتأخرون في هذا الباب إلا من جهة بعدهم عن اللسان العربي الأول.

وقد لخص ذلك أبو عمرو بن العلاء حين ناظر عمرو بن عبيد المعتزلي في الوعد والوعيد، فكان مما قاله له: "من العُجمة أُتيتَ أبا عثمان!"[4].

والثاني: الفقه. وقد بحث الأصوليون شروط الاجتهاد الفقهي، فاتفقت كلمتهم على أن العلم بالعربية من أعظم ما على مريد الاجتهاد أن يتقنه.

قال الشاطبي:

".. الشَّرِيعَة عَرَبِيَّةٌ، وَإِذَا كَانَتْ عَرَبِيَّةً؛ فَلَا يَفْهَمُهَا حَقَّ الْفَهْمِ إِلَّا مَنْ فَهِمَ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةِ حَقَّ الْفَهْمِ؛ لِأَنَّهُمَا سِيَّانِ[5] فِي النَّمَطِ، مَا عَدَا وُجُوهَ الْإِعْجَازِ. فَإِذَا فَرَضْنَا مُبْتَدِئًا فِي فَهْمِ الْعَرَبِيَّةِ فَهُوَ مُبْتَدِئٌ

4 مجالس العلماء للزجاجي: 62/1

5 أي أن ما ورد في الشريعة من الكتاب والسنة وما ورد من كلام العرب من نمط واحد وطريق واحد، سوى ما اختص به من المزايا التي ترتفع بها درجة الكلام في الحسن والقبول، فالقرآن انفرد عن سائر كلام العرب بمزايا جعلته معجزًا للبشر عن الإتيان بسورة منه، والحديث امتاز بما جعله يفوق غيره من كلامهم وإن لم يبلغ درجة الإعجاز. (دراز)

فِي فَهْمِ الشَّرِيعَةِ، أَوْ مُتَوَسِّطًا؛ فَهُوَ مُتَوَسِّطٌ فِي فَهْمِ الشَّرِيعَةِ وَالْمُتَوَسِّطُ لَمْ يَبْلُغْ دَرَجَةَ النِّهَايَةِ، فَإِنِ انْتَهَى إِلَى دَرَجَةِ الْغَايَةِ فِي الْعَرَبِيَّةِ كَانَ كَذَلِكَ فِي الشَّرِيعَةِ؛ فَكَانَ فَهْمُهُ[6] فِيهَا حُجَّةً كَمَا كَانَ فَهْمُ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْفُصَحَاءِ الَّذِينَ فَهِمُوا الْقُرْآنَ حُجَّةً، فَمَنْ لَمْ يَبْلُغْ شَأْوَهُمْ؛ فَقَدْ نَقَصَهُ مِنْ فَهْمِ الشَّرِيعَةِ بِمِقْدَارِ التَّقْصِيرِ عَنْهُمْ، وَكُلُّ مَنْ قَصُرَ فَهْمُهُ لَمْ يُعَدَّ حُجَّةً، وَلَا كَانَ قَوْلُهُ فِيهَا مَقْبُولًا"[7].

والثالث: السلوك والتربية. فلا يتأثر بمواعظ القرآن، وينزجر بقوارعه، من لا يحسن فهم مفرداتها وتراكيبها.

وقارن حالة السلف عند سماع القرآن أو تلاوته بحال أهل العصر، تفهم أهمية العربية في التأثر الروحي، والخشوع القلبي لكلام الله تعالى.

وعلى الجملة فإن الإسلام مرتبط بالعربية أشد ما يكون الارتباط. وأهل الغيرة الدينية هم المسؤولون عن الذب عن العربية في وجه خصومها، لأنهم لا يرون في ذلك إلا ذبا عن الإسلام، ودفاعا عن حرمات الدين.

والذي حفظ العربية من الاندثار، والعرب من الذوبان في غيرهم، إنما هو الإسلام. كان هذا صحيحا في سابق الأيام، وهو الآن صحيح، وسيبقى كذلك إلى ما شاء الله أن يبقى.

6 يعني: فهمه من حيث ما يفيده الكلام العربي، وليس المراد أنه بمجرد ذلك يكون مجتهدًا في الشريعة ويؤخذ بقوله فيها، بل لا بد من ضم الصفات الأخرى من معرفة مقاصد الشريعة وغير ذلك. (دراز)

7 الموافقات: 53/5

المبحث الثاني: الملَكة اللغوية

- **تعريف الملكة في اللغة:**

لا تذكر معاجم اللغة لفظ "الملكة" بمعناها الذي نقصده هنا، وإنما يوجد فيها: "فلان سيّء المَلَكة" أي: يسيء صحبة مماليكه، وحسن المَلَكة بعكسه[8].

وأصل اللفظ وهو جذره المكون من الميم واللام والكاف، يدل –كما يقرره ابن فارس– على قوة في الشيء وصحة، يقال أملَك عجِينَه: قوّى عجنه وشدَّه. وملَّكت الشيء: قوّيتُه. ثم قيل ملَك الإنسان الشيء يملكه ملكا. والاسم المِلك؛ لأن يده فيه قويّة صحيحة.

وإذا صح هذا الأصل الجامع لشتات هذه المادة اللغوية، فإن اشتقاق المعنى الاصطلاحي منه، يصبح ظاهرا لا خفاء فيه.

- **تعريف الملكة اصطلاحًا:**

يعرفها الجرجاني بأنها: "صفة راسخة في النفس"[9]. ثم يشرح ذلك بقوله:

"وتحقيقه أنه تحصل للنفس هيئة بسبب فعل من الأفعال ويقال لتلك الهيئة كيفية نفسانية، وتسمى حالة ما دامت سريعة الزوال، فإذا تكررت ومارستها النفس حتى رسخت تلك الكيفية فيها وصارت بطيئة الزوال فتصير ملكة"[10].

---

8 لسان العرب: مادة (م ل ك)

9 وهذا مناسب للأصل اللغوي الذي سبق نقله عن ابن فارس، فإن الرسوخ ملائم لمعنى القوة.

10 التعريفات للجرجاني (ت. المنشاوي): 193

وبعبارة أخرى، فالملكة لا تحصل بالفعل الواحد، وإنما تحصل بعد تكرار الفعل مرات عديدة. فما يحصل في النفس بسبب فعل ما، يسمى كيفية نفسانية. فإذا تكرر الفعل، لكن ما زالت الهيئة الحاصلة سريعة الزوال لعدم رسوخها، سميت هذه الهيئة حالة. ثم إذا وقع التكرار الكثير، حتى رسخت الهيئة في النفس، وصارت بطيئة الزوال، سميت حينئذ: ملكة.

والملكة شيء زائد على الفهم، كما يقرر ذلك ابن خلدون بقوله:

"وهذه الملكة هي غير الفهم والوعي. لأنا نجد فهم المسألة الواحدة من الفن الواحد ووعيها، مشتركا بين من شدا في ذلك الفن، وبين من هو مبتدئ فيه، وبين العامي الذي لم يحصل علما، وبين العالم النحرير. والملكة إنما هي للعالم أو الشادي في الفنون دون من سواهما، فدل على أن هذه الملكة غير الفهم والوعي"[11].

ومما سبق تظهر لنا خصائص لا بد من التركيز عليها لفهم معنى الملكة:

أولا: الملكة العلمية صفة في النفس، وليست مجموعة من المعلومات، أو منظومة من القواعد. وعلى هذا فالذي يحفظ الألفاظ الفقهية ومعانيها، ويعرف ترتيب الأبواب الفقهية، ويستحضر أحكام الفقهاء في المسائل المختلفة، لا يكون بمجرد ذلك صاحب ملكة فقهية، حتى يصبح الفقه له سجية وصفة.

11 مقدمة ابن خلدون (ت. عبد الله الدويش): 166/2

ثانيا: الملكة تأتي بالاكتساب والعمل على الصحيح. ولا ينفي ذلك أن أصل القدرة على تحصيلها، والرغبة في ذلك، موهبة من الله عز وجل. ولولا توفيقه سبحانه وتعالى لكان العمل ضائعا والجهد هباء منثورا.

ثالثا: لا تحصل الملكة لصاحبها إلا بعد تكرار كثير للفعل، وأما الفعل القليل دون تكرار فقد تحصل به صفة في النفس، لكن لا رسوخ لها، بل تزول سريعا.

ولا يكون العالم عالما حقا، حتى تحصل له في مجال اختصاصه العلمي ملكة، بكثرة اطلاعه على القواعد، وممارسته للمسائل، ووقوفه على الفروق والنظائر، وربطه الفروع بأصولها. وأما القراءة السطحية، والاكتفاء بحفظ المسائل بأدلتها أو مجردة عنها، فإنه لا يحقق الحذق بالفن، ولا يؤسس الملكة العلمية التي هي معيار الانتساب إلى ذلك العلم.

يقول ابن خلدون:

"وذلك أن الحذق في العلم والتفنن فيه والاستيلاء عليه، إنما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله. وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذق في ذلك المتناول حاصلا"[12].

رابعا: تبدأ الملكة صغيرة ضعيفة ثم يشتد عودها وتنمو وترسخ في النفس. وبداية تأسيس الملكة من المبادئ الأولى في العلم التي يتلقاها الطالب، ثم إذا توسع بعد ذلك في الأصول والقواعد

12 مقدمة ابن خلدون: 166/2

قويت ملكته بمقدار ما حصّل من ذلك. ثم إذا زاد تحصيله العلمي، وكثرت قراءاته في الفن، حتى لم يعد يعسر عليه فيه شيء ذو بال، تهيأت له ملكة راسخة في هذا العلم.

ويشرح ابن خلدون هذا المعنى بقوله:

"اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنّما يكون مفيدا إذا كان على التّدريج شيئا فشيئا وقليلا قليلا. يلقى عليه أوّلا مسائل من كلّ باب من الفنّ هي أصول ذلك الباب. ويقرّب له في شرحها على سبيل الإجمال ويراعى في ذلك قوّة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتّى ينتهي إلى آخر الفنّ، وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم إلّا أنّها جزئيّة وضعيفة، وغايتها أنّها هيّأته لفهم الفنّ وتحصيل مسائله. ثمّ يرجع به إلى الفنّ ثانية، فيرفعه في التّلقين عن تلك الرّتبة إلى أعلى منها، ويستوفي الشّرح والبيان ويخرج عن الإجمال، ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه إلى أن ينتهي إلى آخر الفنّ فتجود ملكته. ثمّ يرجع به وقد شدا فلا يترك عويصا ولا مهمّا ولا مغلقا إلّا وضّحه، وفتح له مُقفَله فيخلص من الفنّ وقد استولى على ملكته، هذا وجه التّعليم المفيد وهو كما رأيت إنّما يحصل في ثلاث تكرارات. وقد يحصل للبعض في أقلّ من ذلك بحسب ما يُخلَق له ويتيسّر عليه"[13].

- **الملكة اللغوية:**

بعد تعريف الملكة عموما وتمييز بعض خصائصها، فلنا أن نسأل: ما الملكة اللغوية التي نقصد هنا بيان طرق تحصيلها؟ وما فائدة السعي في امتلاكها؟

---

13 مقدمة ابن خلدون: 347/2

الملكة اللغوية: "سجية راسخة في النفس، تمكن صاحبها من قوة الفهم لدقائق الكلام العربي الفصيح، وحسن التعبير عن المعاني المختلفة بلسان عربي سالم من أوضار العجمة ومفاسد اللحن، مع القدرة على الجمع والتفريق والتصحيح والإعلال ونحو ذلك".

فهذه أركان ثلاثة:

أولها: راجع إلى الفهم. لكنني احترزت بقولي: "قوة الفهم" من الفهم السطحي الذي يلامس المعاني الظاهرة، ولا يغوص وراء الدرر الكامنة.

واحترزت بقولي: "لدقائق الكلام" من الكلام المبتذل الذي يكاد يفهمه كل أحد. ولا شك أن المقصود بالفهم أصالة: أسرار القرآن الكريم، ولطائف الحديث النبوي الشريف.

واحترزت بقولي: "الفصيح" من الكلام الذي لا يستجمع شروط الفصاحة، فإنه لا يُحفل به في هذا المقام.

والثاني: راجع إلى التعبير الشفوي والكتابي. واحترزت بقولي: "حسن التعبير" من التعبير الركيك الذي ينبو عن السمع، ويقبح في العين.

واحترزت بقولي: "المعاني المختلفة" من انحصار القدرة على التعبير في أصناف معينة من الأغراض والمعاني، دون غيرها.

واحترزت بذكر السلامة من العجمة واللحن، من التعبير الحسن بمعيار كثير من أدباء عصرنا، مع كونه أعجمي التركيب، أو مخالفا لقواعد النحو والصرف.

والثالث: راجع إلى الصناعة اللغوية، التي تدرك بطول الممارسة لعلوم اللغة، حتى يصير الممارس قادرا على الجمع بين المتماثلات، والتفريق بين المختلفات، والحكم بالصحة أو الفساد على التراكيب والمفردات، وما أشبه ذلك مما سيأتي بعضه في مبحث التحرير اللغوي، وفي التمثيل لبعض الملكات اللغوية الفرعية.

ومن هذا التقرير يُعلَم أن الملكة اللغوية لا تُبنى بمعرفة العلوم اللغوية وحدها، ولا بممارسة اللغة وحدها.

وقد اطلعت على كلام لابن خلدون في مقدمته الشهيرة، في فصل جعله بعنوان: "في أن ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية، ومستغنية عنها في التعليم"[14].

وقد فصَّل رحمه الله في هذا المعنى، وأبدى فيه وأعاد؛ فكان مما قاله:

".. إن صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصّة. فهو علم بكيفيّة لا نفس كيفيّة. فليست نفس الملكة وإنّما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصّنائع علما ولا يحكمها عملا... وهكذا العلم بقوانين الإعراب مع هذه الملكة في نفسها، فإنّ العلم بقوانين الإعراب إنّما هو علم بكيفيّة العمل وليس هو نفس العمل".

ثم ذكر بعض أسباب الانفصام بين تدريس علوم اللغة وتحصيل الملكة اللغوية. ولكن في كلامه رحمه الله بعض المبالغة في الحط من دور علوم العربية في تحصيل الملكة اللغوية، حتى **صرَّح بأن الملكة مستغنية في الجملة عن صناعة العربية**.

---

14 مقدمة ابن خلدون: 385/2

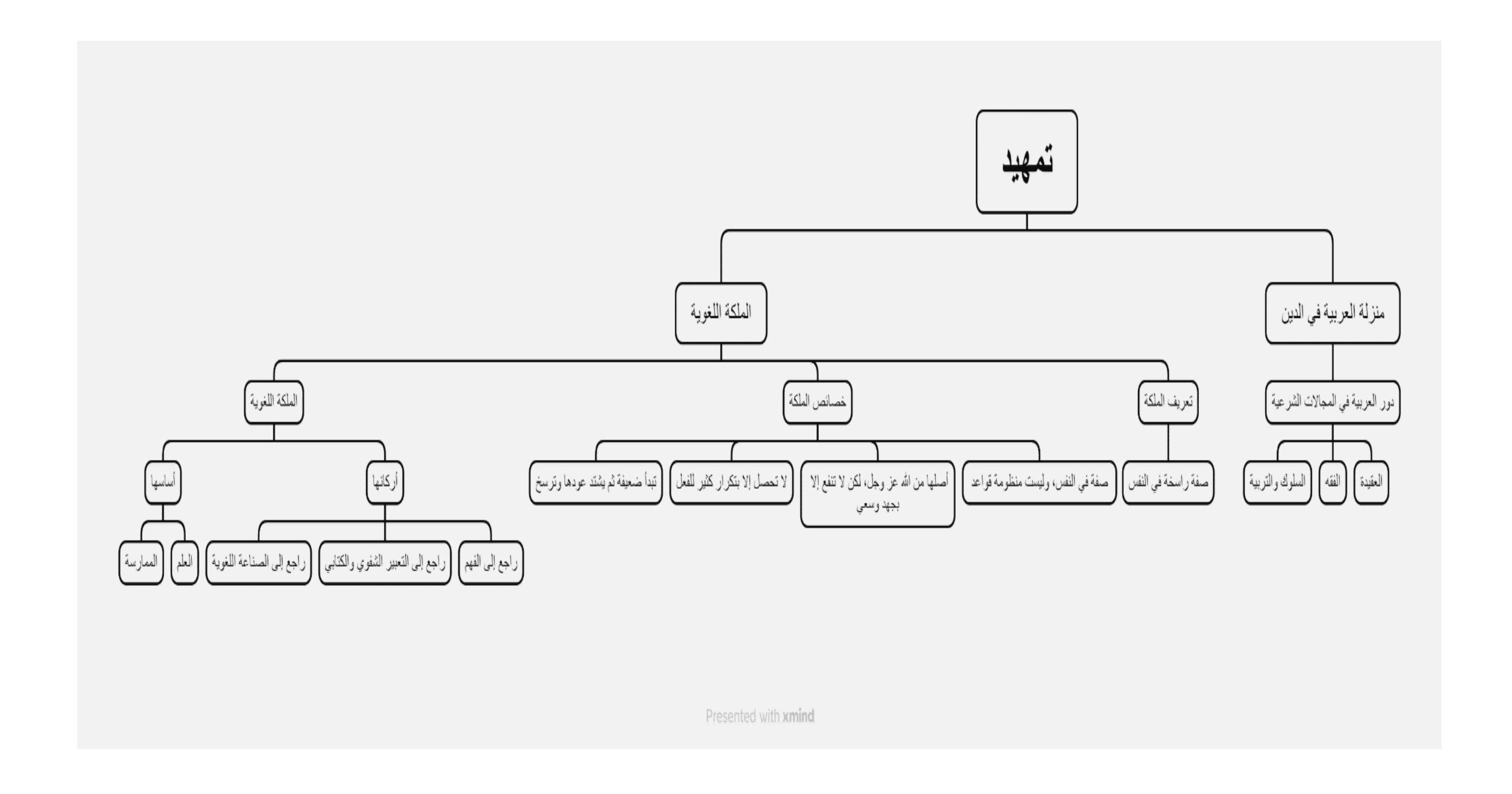
والحق أن هذا **كان ممكنا في عصور العربية الأولى**، لكنه اليوم غير ممكن، بل هو ممتنع منذ قرون طويلة. فمن أراد ممارسة العربية الفصحى احتاج – ولا بد – إلى تعلم القواعد والضوابط، وإلا **فأين يجد في زماننا المحضن اللغوي الصالح الذي يغنيه عنها؟**

وليس هذا خاصا باللغة!

فملكة الاستنباط الفقهي، وملكة إعلال الأحاديث، كانتا متاحتين في العصور الأولى بالممارسة وإنعام النظر، وذلك قبل أن تقعّد القواعد وتوضع الأصول الضابطة. وليس يمكن لأحد اليوم أن يزعم قدرته على امتلاكهما، بالنظر المجرد في نصوص الوحيين، دون تعلم علمي الفقه والحديث، بل التبحر فيهما!

ولذلك فأنا أقرر – بطمأنينة – أن الملكة اللغوية تبنى على أساسين يكمل أحدهما الآخر: **العلم والممارسة**.

وسيأتي – إن شاء الله – مزيد بيان لهذا الأمر فيما يأتي من مباحث هذا الكتاب.



تمهيد
منزلة العربية في الدين
الملكة اللغوية
دور العربية في المجالات الشرعية
العقيدة
الفقه
السلوك والتربية
تعريف الملكة
صفة راسخة في النفس
خصائص الملكة
صفة في النفس، وليست منظومة قواعد
أصلها من الله عز وجل، لكن لا تنفع إلا بجهد وسعي
لا تحصل إلا بتكرار كثير للفعل
تبدأ ضعيفة ثم يشتد عودها وترسخ
الملكة اللغوية
أركانها
راجع إلى الفهم
راجع إلى التعبير الشفوي والكتابي
راجع إلى الصناعة اللغوية
أساسها
العلم
الممارسة
Presented with xmind

الباب الأول

عقبات في طريق تكوين الملكة اللغوية

إذا ثبت لديك أن تكوين الملكة اللغوية من أعلى ما ينبغي أن يشتغل به المسلم، لما ينبني عليه من تصحيح العلاقة بين المسلم وينابيع الشريعة الأصلية، فإن من المناسب أن نبين بعض العقبات التي منعت هذا التكوين قديما، أو لا تزال تمنعه اليوم.

والذي يبدو لي أن هذه العقبات تدور على محورين اثنين:

المحور الأول: عقبات مرتبطة باللغة ذاتها، من جهة ما لحقها من تطورات أو دخل إليها من مؤثرات، أبعدتها عن اللسان الأول الذي نزل به الوحي.

المحور الثاني: عقبات مرتبطة بوسائل تحصيل الملكة، في شقيها التقليدي والحديث.

فهما إذن فصلان اثنان، هذا أوان الشروع فيهما.

الفصل الأول

البعد عن اللسان الأول

أُطلب من أي مثقف عربي اليوم أن يقرأ نصا لغويا تراثيا، وتأمل الصعوبة التي يجدها في قراءة ألفاظه فضلا عن فهم معانيه!

بل اطلب ذلك من طالب علم شرعي، تجد حاله أفضل من الأول، لكنه لا يسلم مع ذلك من التعثر والاضطراب.

والسبب في هذا: أن اللغة السائدة اليوم في التعليم والإعلام والأدب، وفي كل مكان، لغة بعيدة البعد كله عن اللغة العربية الأصيلة، التي نزل بها الوحي، وتكلم بها العرب الأقحاح.

بل إن اللغة المتداولة في كتب العلم الشرعي أيضا – مع ما دخلها من تباعد عن اللسان الأول بعد قرون من التطور الداخلي والتأثير الخارجي – يراد لها اليوم مزيد من البعد عن هذا اللسان، تحت ذرائع مختلفة، لكنها تصب في مسيل واحد:

بعد على بعد على بعد..

وبعد التأمل فإن هذا الابتعاد عن اللسان الأول يمكن بيانه في ثلاثة مباحث:

- أثر العلوم العقلية،
- وأثر التطور التاريخي والمؤثرات الخارجية،
- والتغريب اللغوي والأدبي في العصر الحديث.

المبحث الأول: أثر العلوم العقلية

انفتحت الأمة الإسلامية في مرحلة من مراحل تاريخها على الحضارات الأخرى، خاصة منها الثقافة اليونانية، التي تسربت منها إلى الأمة أصناف من العلوم العقلية، خاصة الفلسفة والمنطق.

وازدهر هذان العلمان في أرجاء العالم الإسلامي، وتتابع المؤلفون على شرح كلام فلاسفة الإغريق – خاصة أرسطو – أو على نقده وتبيين مكامن الخلل فيه.

ونشأ علم الكلام من روافد مختلفة، من أهمها المنطق والفلسفة؛ وانتشر في الحقل المعرفي للأمة انتشار النار في الهشيم.

كما أن التأثيرات الغنوصية الهندية والإشراقية اليونانية امتزجت مع مبادئ السلوك الإسلامية الأصلية، وأنتجت التصوف الفلسفي.

في هذين الاتجاهين الفكريين: مجموعة من المعاني المستحدثة، وطرائق في التعبير عنها مخصوصة، وألفاظ اصطلاحية معينة استُجلبت بهيئتها الأصلية من اللغات الأخرى، أو اشتقت من أصول عربية لتعبّر عن تلك المعاني الحادثة.

ولذلك فمن الوهم أن يعد هذا التأثير اليوناني والهندي خاصا بالعقائد الإسلامية، بل الصحيح أنه أثر شمولي امتد لجميع مفاصل المعرفة في الأمة الإسلامية[15].

---

15 لكنني لست أذهب مذهب من غلا في تعظيم الأثر اليوناني على الأدب العربي، كالمستشرقين ومن تبعهم في ذلك.

وقد كان تأثير العلوم العقلية في اللغة العربية من وجهين:

الأول: على التعبير العربي ذاته،

والثاني: على الدرس اللغوي.

تغيرت طبيعة التعبير اللغوي بتأثير من العلوم العقلية المتغلغلة في الأمة. وظهر هذا الأثر في مجالين كبيرين: الأدب والعلوم الشرعية.

أما في الأدب، فمجال القول في ذلك واسع، وهو يحتاج إلى إطالة في شرح التطور التاريخي للأدب العربي، ورصد أوجه التأثر بالعلوم الواردة من الأمم الأخرى. ويكفي استحضار العلاقة الوطيدة بين الاعتزال والأدب، فقد كان كثير من الأدباء من متكلمي المعتزلة أيضا!

ونكتفي في تأكيد تأثير هذه العلوم في الأدب العربي بنموذجين:

أولهما: الحكم المنقولة عن فلاسفة اليونان وأطبائه في كتب الأدب العربي المؤلفة في العصر العباسي. وأنت إذا طالعت مؤلفات الجاحظ، أو كتاب "العقد الفريد" لابن عبد ربه، أو "عيون الأخبار" لابن قتيبة، أو "البصائر والذخائر" و"الإمتاع والمؤانسة" لأبي حيان التوحيدي، وجدت نقولا كثيرة عن أمثال سقراط وأفلاطون وأرسطوطاليس وأبقراط.

وهذه الحكم وإن كانت معرّبة، لا تخلو من احتفاظ ببعض أساليب التعبير الأصلية.

والثاني: في مجال النقد الأدبي، وهو ما اشتهر من تأثر قدامة بن جعفر في كتابه "نقد الشعر" بعلوم اليونان.

فمن ذلك: تكلفه وضع تعريف للشعر، على طريقة الحدود المنطقية الأرسطية؛ فعرفه بأنه: "كلام موزون مقفى يدل على معنى". ولذلك يقول د. إحسان عباس: "ومنذ البداية يبدو قدامة متأثرا بالمنطق الأرسطي، متجاوزا المفهوم اليوناني للشعر، في آن معًا"[16].

ومن ذلك: عنايته بالتقسيمات والمقابلات، واستعمال المقاييس المنطقية في النقد الشعري. وقد كان الدافع له إلى ذلك: التخلص من فوضى الأذواق ومحاولة ضبط الحس النقدي.

وهناك أمور أخرى ذكرها بعض النقاد المعاصرين حول تأثر قدامة باليونان، أراها محل نقاش ونظر[17].

هذا ما يتعلق بالأدب، وأما سائر علوم الشريعة من تفسير وفقه وتاريخ وغيرها، فأثر العلوم العقلية من المنطق والفلسفة في أساليبها التعبيرية واضح جدا.

فتأمل مثلا كتب التفسير التي صنفها المتأخرون، مثل: تفسير الرازي والنسفي وأبي السعود والألوسي، وغيرهم؛ وقارن أساليبهم بأساليب الصحابة والتابعين وأئمة السلف في تفسير آيات القرآن الكريم.

وتأمل أيضا بعض ما صنفه المتأخرون في علم مصطلح الحديث، مثل: نخبة الفكر وشرحها، أو في شروح الحديث، مثل: فتح الباري؛ وقارن ذلك بالمأثور عن المتقدمين من المحدّثين.

وتأمل كتب الفقه المذهبي المتأخرة، وقارنها بالمنقول في الفقه عن المجتهدين الأولين.

---

16 تاريخ النقد الأدبي عند العرب: 191

17 من ذلك: نظرية الوسط في الفضائل، أي أن كل واحدة من الفضائل النفسية وسط بين مذمومين؛ ومن ذلك: رده جميع فنون الشعر إلى المدح والهجاء ليخضعهما لنظرية أرسطو المتعلقة بالمنافرات؛ ومن ذلك: متابعته لأرسطو في تجويزه الغلو للشعراء مطلقا؛ ونحو ذلك.

أما أصول الفقه، فالأمر فيه أجلى وأوضح. فأين أسلوب رسالة الشافعي من أسلوب محصول الرازي مثلا؟

وهكذا فإنك تجد في العلوم الشرعية كلها، شواهد لا تحصى على تغير اللسان، وابتعاده عن اللسان الأول، بسبب تأثر "العبارة الشرعية" بالمنطق اليوناني خصوصا، وبالعلوم العقلية عموما.

وأما الدرس اللغوي، فقد دخله التأثير المنطقي بشكل ظاهر لا تنبغي المكابرة فيه[18]. إلا أنني لا أغلو مع الغلاة الذين يزعمون أن علوم العربية – خاصة النحو الذي هو أساسها – نشأت بأثر يوناني خالص، ويتلمسون الأدلة على ذلك من بعض التشابه بين المصطلحات والتعليلات النحوية الأصيلة، وما يماثلها في الثقافة اليونانية.

وهذا أمر لا أرتضيه لضعف حجته، وأرى أن النحو علم عربي خالص، نشأ لدوافع ذاتية من داخل الحضارة الإسلامية، وبني على تتبع المادة اللغوية العربية بقطع النظر عن المستقر في الحضارات الأخرى.

وفي هذا المعنى يقول د. عبده الراجحي:

"والذي لا شك فيه عندنا أن الدرس اللغوي للعربية نشأ وتطور في "مُناخ" عربي؛ ومن ثم فإن محاولة فهمه من "خارج" هذا "المناخ" تؤدي إلى أخطاء فضلا عما يحتف بها من أخطار. ومن الحقائق

18 هنالك كتب وأبحاث كثيرة عرضت لهذا الموضوع، منها: "مناهج البحث في اللغة" لتمام حسان؛ و"إحياء النحو" لإبراهيم مصطفى، و"منطق أرسطو والنحو العربي" مقال لإبراهيم بيومي في مجلة مجمع اللغة العربية.

المقررة أننا لم ندرس بعد كل ما قدمه العلماء العرب من دراسات في اللغة، وعلى ذلك فإن الحكم على المنهج العربي بأنه منهج "منقول" أو "غير عربي": حكم تنقصه الدقة العلمية"[19].

ومن الدليل على هذا، أن أئمة النحو الأولين لم يلتفتوا إلى الصناعة المنطقية في التعريفات. فتجد سيبويه مثلا لا يرهق نفسه بإيراد الحد الجامع المانع، وإنما يكتفي بالتعريف بالمثال.

ولكن حال النشأة تغير فيما بعد، ودخل المنطق اليوناني بقوة إلى علم النحو خصوصا، وعلوم العربية عموما.

وأنكر من أنكر من الأئمة تسلط صناعة المنطق على النحو مثل الإمام أبي محمد عبد الله ابن السِّيد البَطَلْيَوسِيّ في كتابه الموسوم بكتاب المسائل[20].

ومن مجالات تأثر النحو بالمنطق: صناعة الحدود التي صارت منتشرة في المصنفات النحوية.

وتأثر النحو أيضا بعلم الكلام، حتى قال أبو الفتح ابن جني:

"اعلم أن علل النحويين – وأعني بذلك حذاقهم المتقنين لا ألفافهم المستضعفين – أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى علل المتفقهين"[21].

---

19 فقه اللغة في الكتب العربية، لعبده الراجحي: 175

20 قال في كتاب "المسائل": "وقع البحث بيني وبين رجل من أهل الأدب في مسائل نحوية فجعل يكثر من ذكر المحمول والموضوع والألفاظ المنطقية، فقلت له: صناعة النحو يستعمل فيها مجازات ومسامحات لا يستعملها أهل المنطق. وقد قال أهل الفلسفة: يجب حمل كل صناعة على القوانين المتعارفة بين أهلها، وكانوا يرون أن إدخال صناعة في أخرى إنما يكون لجهل المتكلم أو لقصد المغالطة والاستراحة بالانتقال من صناعة إلى أخرى عند ضيق الكلام عليهم". (صون المنطق والكلام، للسيوطي: 200. وفي الكتاب نفسه ص243-254 نقل المناظرة المشهورة بين متى بن يونس القنائي الفيلسوف وأبي سعيد السيرافي، ومن ضمن ما فيها استدلال السيرافي على عدم حاجة النحو العربي إلى المنطق).

21 الخصائص: 48/1

ولم تسلم علوم العربية الأخرى من الأثر المنطقي والفلسفي والكلامي، خاصة علم البلاغة الذي كان أغلب مصنفيه من المتكلمين، فاصطحبوا عدتهم الكلامية والمنطقية في الدرس البلاغي.

ومن مظاهر هذا الأثر في علم البلاغة:

- الكلام على الأسباب والمسببات في مبحث المجاز المرسل.
- الكلام على الفاعل الحقيقي والفاعل المجازي في علم المعاني.
- المدخل المنطقي المتعلق بالدلالة وشروطها، وأقسامها الوضعية والعقلية.
- إدخال بعض المباحث المنطقية في كتب البلاغة، كما فعل السكاكي حين أدخل في "مفتاح العلوم" مباحث الاستدلال، وعلل ذلك بأن "تتبع تراكيب الكلام الاستدلالي ومعرفة خواصها، مما يلزم صاحب علم المعاني والبيان"22.
- الاعتماد على المقاييس والقواعد المنطقية في الحكم بحسن الكلام وقبحه، دون نظر إلى معاني الجمال وقضايا الذوق السليم.
- العناية بدقة التعريفات للمصطلحات البلاغية.
- غلبة النزعة الجدلية الحجاجية على أغلب مباحث البلاغة.

وقل نظير ما سبق في العلوم اللغوية الأخرى.

---

22 مفتاح العلوم (ت. أكرم عثمان يوسف): 673

أثر العلوم العقلية

- على التعبير العربي
  - الأدب العربي
    - الحكم المنقولة
    - النقد الأدبي
  - العلوم الشرعية
    - ذلك واضح في كتب التفسير، وأصول الفقه وغيرها
- على الدرس اللغوي
  - هذا الأثر واضح في علم البلاغة، من ذلك
    - الكلام على الأسباب والمسببات
    - الكلام على الفاعل الحقيقي والمجازي

المبحث الثاني: أثر التطور التاريخي

يبدأ التاريخ المعروف للغة العربية قبل الإسلام بعقود قليلة. والمقصود بذلك ما وصل إلينا من المادة اللغوية الثابتة بيقين، أو بما يشبه اليقين من الظن الراجح[23].

ولم تبق اللغة العربية جامدة على صورتها الأولى هذه. بل وقعت عليها تطويرات متلاحقة، بدءا بالأثر الإسلامي الذي امتزجت بسببه العربية بالإسلام إلى الأبد، وانتهاءً بأثر "الاستعمار" الغربي في العصر الحديث.

وحين أقرر هنا وقوع تطورات في اللغة العربية، فإنني لا أغفل عن أنها قد حافظت مع ذلك على هيكلها العام سالما، بسبب ارتباطها بالقرآن الكريم والدين الإسلامي الخالد. وهكذا عاشت أكثر من خمسة عشر قرنا تؤدي دورها على أكمل وجه، وتستوعب المعارف الحضارية، والثقافات المتنوعة؛ مع ثبات قواعد الاشتقاق، وأوزان التصريف، وأصول الإعراب؛ مما يعد عند مؤرخي اللغات أمرا شبيها بالمعجزات!

وقد كانت اللغة العربية في الأصل محصورة في جزيرة العرب، ثم لما جاء الإسلام انتشرت في أصقاع الدنيا. وذلك أن العرب حين حملوا الإسلام إلى العالم، حملوا معه لغة القرآن، فاستعربت شعوبٌ كثيرة في غرب آسيا وشمال إفريقيا وتركت لغاتها الأولى وآثرت اللسان العربي. بل إن شعوبا

23 يقول الجاحظ: "فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له إلى أن جاء الله بالإسلام خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام" (الحيوان: 74/1). والشعر أول ما اعتنى الرواة بنقله قبل الإسلام من المادة اللغوية عموما. ويراجع: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، لجواد علي: الفصل 156: أولية الشعر الجاهلي.

أخرى كثيرة في وسط آسيا (فارس وخراسان وما وراء النهر وغيرها) تعرّبت أيضا، ثم محيت العربية منها بعد تتابع القرون، لأسباب سيأتي ذكر بعضها إن شاء الله.

وقد شارك هؤلاء الأعاجم الذين دخلوا الإسلام في الثقافة العربية الإسلامية، مشاركة كاملة مؤثرة، وأثرَوا علوم الشرع والعربية بما لا يحصى من المؤلفات.

- **أسباب التطور اللغوي:**

1- **العامل الزمني**: وهو عامل محوري في تطور اللغات جميعها، حتى مع غياب المؤثرات الخارجية. وذلك لأن طول الزمن وتعاقب الأجيال، يؤدي إلى تكاثر التصرفات المختلفة في المادة اللغوية، ويتلو ذلك تطور اللغة من حيث هي.

2- **الأثر الإسلامي**: أحدث الإسلام تغيرا كبيرا في اللسان العربي، فصار يدور حول القرآن والحديث النبوي. ودخلت الألفاظ الشرعية بغزارة إلى قلب اللغة.

وتحولت العربية بسبب الإسلام من لغة شعرية خطابية إلى لغة علمية، هي الوعاء لعلوم شرعية وعقلية كثيرة. واتسع الأمر مع حركة الترجمة، فتغيرت وظيفة اللغة العربية تغيرا جذريا.

3- **اختلاط العرب بغيرهم**: أدت حركة الفتح الإسلامي إلى اختلاط العرب بالعناصر الأخرى من الفرس والروم والبربر وغيرهم. ولا ريب أن هذا الاختلاط أدى إلى ظهور اللهجات العامية المختلفة، وإلى بعض التحريف في الفصحى، وانتشار اللحن.

4- **أثر الحضارات الأخرى**: والمقصود بذلك الحضارات التي كانت قائمة في عهود الإسلام الأولى، أو قبل ذلك، فنقلت معارفها إلى الأمة الإسلامية إما بالاحتكاك المباشر وإما عن طريق الترجمة.

وقد اشتهر أثر الحضارة الفارسية واليونانية خصوصا. وأغلب الباحثين على أن أثر الأول أكبر على اللغة العربية وآدابها، ويذهب بعضهم إلى عكس ذلك[24].

5- **التساهل في الكلام بغير العربية:** وذلك خصوصا في المناطق التي توجد بها لغات أصلية أخرى، مما يؤدي إلى سيطرة هذه اللغات على العربية وتأثيرها فيها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

"ولهذا كان المسلمون المتقدمون لما سكنوا أرض الشام ومصر، ولغة أهلهما رومية، وأرض العراق وخراسان ولغة أهلهما فارسية، وأهل المغرب ولغة أهلها بربرية؛ عوّدوا أهل هذه البلاد العربية، حتى غلبت على أهل هذه الأمصار: مسلمهم وكفارهم، وهكذا كانت خراسان قديما.

ثم إنهم تساهلوا في أمر اللغة، واعتادوا الخطاب بالفارسية، حتى غلبت عليهم، وصارت العربية مهجورة عند كثير منهم، ولا ريب أن هذا مكروه، وإنما الطريق الحسن اعتياد الخطاب بالعربية، حتى يتلقنها الصغار في المكاتب وفي الدور فيظهر شعار الإسلام وأهله، ويكون ذلك أسهل على أهل الإسلام في فقه معاني الكتاب والسنة وكلام السلف؛ بخلاف من اعتاد لغة ثم أراد أن ينتقل إلى أخرى فإنه يصعب"[25].

24 مثل طه حسين في كتابه "من حديث الشعر والنثر"، إذ يذهب إلى أن التأثير اليوناني على الأدب العربي أقوى من التأثير الفارسي (ص29).

25 اقتضاء الصراط المستقيم: 526/1

- **مظاهر التطور اللغوي:**

للتطور اللغوي مظهران بارزان:

أولهما: تطور الألفاظ:

وذلك إما بأن يتغير معنى اللفظ، فيراد به معنى معينا في زمن ما، ثم يهجر ذلك المعنى بعد مدة معينة، ويصبح للفظ معنى آخر. ولا بد أن يكون بين المعنيين مناسبة تبيح هذا الانتقال، وإلا كان ذلك معدودا من أغلاط العامة.

ومن الأوجه المشهورة في هذا المقام: الألفاظ الشرعية، كالصلاة والزكاة والصيام والنفاق ونحوها، فإنها كانت قبل الإسلام تفيد معاني مخصوصة، ثم أطلقت في لسان الشرع على غيرها.

وإما بأن يكون اللفظ مستعملا فيهجر أو العكس.

"فالاستعمال في العربية على نوعين: مهجور قد يستعمل، ومستعمل قد يهجر، واحتفاظ علمائنا بالنوع الأول كأنه إرهاص لإحيائه، وفي هذا كانت المزية للعربية، إذ لا تحتفظ سائر اللغات إلا بالنوع الثاني وهو مهدد بالهجران، معرض لقوانين التغير الصوتي، فإذا أميت بالهجر لم يكن في طبائعها ما تعوض به المهجور الجديد بمهجور قديم، فتضطر إلى الاستجداء من لغات أخرى وأحيانا إلى غصبها والسرقة منها"[26].

وبسبب هذا التطور في الدلالة أو الاستعمال، كانت ألفاظ مألوفة في القديم فصارت من الغريب المهجور، لا تعرف معانيها إلا بعد تقليب المعاجم.

---

26 دراسات في فقه اللغة لصبحي الصالح: 293

وقد يقع العكس أيضا، لأن الأدباء تتابعوا على استعمال لفظ ما، حتى أخرجوه من دائرة الغريب إلى دائرة المألوف المتداول.

والثاني: تطور التراكيب والأساليب:

وذلك بسبب سريان العامية إلى اللغة المكتوبة، أو بسبب تأثير العلوم المستحدثة.

فانظر أين تجد في كلام المعاصرين مثل قول سعد بن معاذ رضي الله عنه المشهور في السيرة:

"فوالَّذي بعثَكَ بالحقّ لوِ استَعرضتَ بنا هذا البحرَ فخُضتَه لخُضنَاهُ معَكَ، ما تخلَّف منّا رجلٌ واحدٌ. وما نَكْرَه أن تَلقى بنا عدوَّنا غدًا، إنّا لصُبرٌ في الحَربِ، صُدُقٌ في اللِّقاءِ، لعلَّ اللهَ يُريكَ منّا ما تقرُّ بِهِ عينُكَ، فسِرْ بِنا على برَكَةِ اللهِ".

وليس في هذا الكلام مفردة واحدة، يخفى معناها على الطلبة في عصرنا، ولكنهم مع هذا عاجزون عن الإتيان بتركيب يشبه هذا الكلام الرفيع!

- **المراحل الكبرى للتطور اللغوي:**

رصد الباحثون في تاريخ الأدب التطورات اللغوية والأدبية التي عرفتها العربية وآدابها، منذ عصر الجاهلية إلى العصر الحديث[27].

وليس من غرضي تفصيل ذلك، وإنما أشير إلى أشهر المراحل، وشيء من مميزاتها.

1- المرحلة الأولى: الفتوة

27 يراجع: تاريخ الأدب العربي للزيات؛ وسلسلة أحمد أمين: فجر الإسلام وضحاه وظهره؛ وسلسلة شوقي ضيف "تاريخ الأدب العربي"؛ و"تاريخ الأدب العربي" لعمر فروخ؛ وغيرها.

تمتد من العصر الجاهلي إلى بدايات الدولة العباسية.

اختصت العربية في هذا العصر بالسلامة – إلى حد بعيد – من الاختلاط بالألسنة الأخرى، والحفاظ على الخصائص اللغوية التي تميزها. ولذلك سميت هذه الحقبة: عصر الاحتجاج، أي أن كلام شعرائها وأدبائها حجة في استنباط قواعد النحو والصرف وفي إثبات المعاني اللغوية للمفردات.

وفي هذه الحقبة، انتقلت العربية من لغة محلية لا تتجاوز جزيرة العرب، إلى لغة عالمية مرتبطة بالقرآن الكريم وبالتراث الإسلامي عموما.

وامتازت اللغة في هذا العصر بالارتباط بالبيئة البدوية والبعد عن أسباب الحضارة، وندرة الاصطلاحات العلمية؛ مع قلة التكلف، وسمو المعاني.

2- المرحلة الثانية: التحضر

وذلك مرادف لمراحل ازدهار الدولة العباسية، والدول الأخرى المنتشرة في أنحاء العالم الإسلامي، سواء مع التبعية للدولة المركزية في بغداد أو الاستقلال عنها.

وفي هذه المرحلة، خالطت العربية لغات خارجية متنوعة، ولم تعد لغة الأدباء حجة في علوم اللغة. ودخلت ألفاظ الحضارة في العربية، وسرت إليها رِقتها وعذوبتها. وتطورت أغراض الأدب، وخرجت من قوقعة البيئة البدوية، فتبعت اللغة هذا التطور.

كما انتشرت الترجمة لآثار التراث اليوناني والروماني والهندي والفارسي، وازدهرت العلوم، وتطورت الحركة الفكرية، وكان أثر ذلك كله في اللغة واضحا.

ونحن إذا أردنا فهم الوحي، وربط حركتنا العلمية بلسان الشرع الأول، فلا بد من الرجوع إلى لغة الحقبة التاريخية الأولى، التي هي الأصل الأصيل والأساس الركين. أما اللغة في هذا العصر الثاني، فلا أهمية لها، إلا من جهة ما تأخذه من لغة المرحلة الأولى، وتنقله لأهل المراحل التالية.

وأما ما تفردت به من إضافات، فلا "قدسية" له؛ ويمكن لأهل عصرنا أن يبتَدِعُوا مثل ما ابتدع أهل ذلك العصر، ويضيفوا مثل ما أضافوا.

3- المرحلة الثالثة: الجمود

وهي المرحلة التي توازي ضعف الدولة العباسية، وما تبع ذلك من شتات سياسي، وانحدار حضاري للأمة الإسلامية.

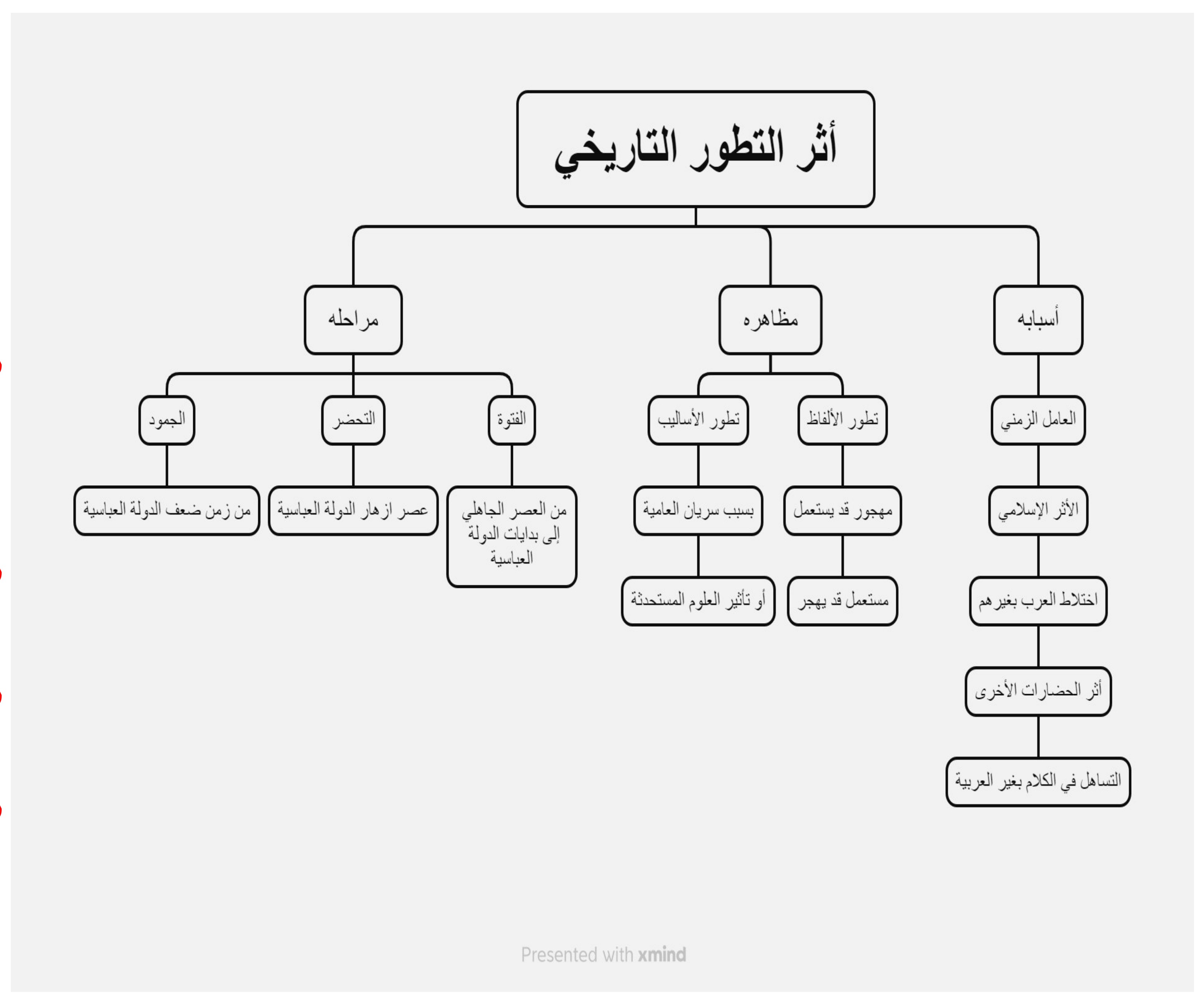
وقد جمدت العلوم الإسلامية كلها على الموروث من المرحلة السابقة، وغاب الإبداع والتجديد. ولحق ذلك اللغة، التي هي وعاء هذه العلوم؛ فجمدت أيضا طرائق تدريس علومها، وفي فنونها الأدبية، وفي ألفاظها وأصولها التعبيرية.

وقد استطاعت مع ذلك، أن تقاوم حملات كثيرة كادت تقضي عليها، من أخطرها: حملة التتار على العالم الإسلامي، ثم حملة الصليبيين. واعتصمت خلال ذلك بالمعاهد الإسلامية الكبرى، الموجودة في الحواضر الإسلامية، مثل الأزهر والقرويين والزيتونة، وغيرها. واستطاعت هذه المعاهد — على الرغم من مناهجها التقليدية وأساليبها العتيقة — أن تحمي العربية من الضياع، وأن تنقل التراث العربي العلمي والأدبي إلى الأجيال اللاحقة.

وواجهت العربية أيضا، حملة أخرى زمن الدولة العثمانية، أريد فيها القضاء على العربية في بعض بلاد العالم الإسلامي، وإحلال التركية محلها، في المدارس والمحاكم والإدارة وغير ذلك. لكن خرجت

العربية ظافرة من هذا التحدي الجديد، بفضل حفظ الله لها، ثم بجهود العلماء المحبين لهذه اللغة الشريفة.

ثم جاءت معركة أخرى أخطر وأعظم، حين دخل "الاستعمار" الغربي إلى بلاد المسلمين، وأدخل معه لغته المزهوة بالاكتشافات العلمية لعصر النهضة في أوروبا، ووجد أمامه لغة جامدة، يقوم عليها علماء يفتقرون إلى الرغبة في التجديد؛ فاستطال عليهم، وكان ما كان مما سأذكر بعضه في المبحث التالي.


أثر التطور التاريخي
أسبابه
العامل الزمني
الأثر الإسلامي
اختلاط العرب بغيرهم
أثر الحضارات الأخرى
التساهل في الكلام بغير العربية
مظاهره
تطور الألفاظ
مهجور قد يستعمل
مستعمل قد يهجر
تطور الأساليب
بسبب سريان العامية
أو تأثير العلوم المستحدثة
مراحله
الفتوة
من العصر الجاهلي إلى بدايات الدولة العباسية
التحضر
عصر ازهار الدولة العباسية
الجمود
من زمن ضعف الدولة العباسية
Presented with xmind

المبحث الثالث: التغريب اللغوي والأدبي في العصر الحديث

والمقصود بالتغريب: التغيير لموافقة ما عند الغرب، من لغة أو ثقافة أو حضارة، على وفق ما أخبر به الحبيب ﷺ حين قال: "لتتبعن سنن الذين من قبلكم حذو القذة بالقذة" (رواه البخاري ومسلم).

وقد بدأ التغريب مع الحملات العسكرية الأولى للأوروبيين على بلاد الإسلام، بدءًا بالحملة الفرنسية على مصر، ومرورا بالاحتلال الفرنسي للجزائر، ثم بالحملات "الاستعمارية" التي اقتسمت فيها دولُ أوربا أراضي المسلمين.

وكانت الأمة الإسلامية في هذه المرحلة الزمنية قد خرجت لتوها من مرحلة سبات حضاري، وجمود علمي وثقافي، فلم يكن لديها ما تجابه به الغزو العسكري، ولا ما تتحصن به من الغزو الثقافي.

واستمر الاستعمار جاثمًا على صدر الأمة مدة طويلة من الزمن، ثم ما خرج إلا بعد أن تيقن بقاء من يفري في التغريب فرِيّه، من نخبة عربية الانتساب، غربية الهوى حتى النخاع!

وما فتئ الخرق يتسع، والأمة تبتعد عن أصولها، في اللغة والأدب، وفي أمور أخرى كثيرة.

وقد كان للتغريب مظاهر كثيرة، يهمنا منها في بحثنا هذا نوعان اثنان: اللغوي والأدبي.

- **التغريب اللغوي**

اكتسحت اللغات الأوروبية أمة الإسلام خلال حِقْبَة الاستعمار وما بعدها. وكان من أعظم غايات المستعمر أن تصبح اللغة العربية مثل اللاتينية، التي صارت لغة مُتحَفِيّة ميتة، تدرس كما تدرس الآثار التاريخية القديمة.

ولأجل الوصول إلى هذه الغاية، سعى المستعمِر إلى تشجيع اللهجات المحلية في مختلف أقطار الأمة – خاصة البلاد العربية منها – وذلك لأن تعدد اللغات من شأنه أن يقتل اللسان العربي الفصيح، ويقتل ما يبنى عليه من تراث شرعي وأدبي.

كما سعى أيضا إلى الطعن في اللغة العربية، واتهامها بالقصور عن تحمل الحضارة الحديثة، واتهام حروفها، وأصول نحوها وصرفها، وقواعد إملائها، بالصعوبة والتعقيد. ومرادهم من هذه الاتهامات: تمهيد الطريق إلى الدعوة إلى العامية، واستخدام الحروف اللاتينية لكتابة العربية، وتغيير الشعر العمودي، وما أشبه ذلك.

وقد كان للمغرب الإسلامي النصيب الأوفى من هذه الهجمات، فقد حاول المستعمر الفرنسي أن يمحو العربية في هذه البلاد، ويحلّ الفرنسية بديلا عنها في التعليم والإعلام ومناحي الثقافة جميعها.

ولولا فضل الله ومنته، ثم جهود المصلحين من أهل الدين، لكان مصير بلاد المغرب يشبه مصير بلدان آسيا التي صارت أعجمية اللسان، بعد أن كانت تثمر ألوانا من النتاج العربي الثري.

وبعد خروج المستعمر الفرنسي، بقي أذنابه يكافحون لكي تستمر الفرنسية في سيطرتها اللغوية على هذه البلاد. ومن هنا تفهم إصرار المتحكمين على بقاء الهيمنة الفرنسية، على الرغم من كونها لغة مهزومة في العالم أمام الاكتساح الطاغي للإنجليزية.

وفي المشرق، كان من أعظم آثار المستعمر وأتباعه: الدعوة إلى العامية في مصر والشام. وهي دعوة خطيرة ما تزال آثارها قائمة، مع كثرة من تصدى لها من أنصار الفصحى.

ولأجل هذه الحملات الكثيرة التي تعرضت لها العربية في العصر الحديث، وُجدت مقاومة عنيفة، حمل رايتها كثير من محبي العربية، واتجهت مقاومتهم في وجهتين اثنتين:

- الأولى: الدفاع عن العربية وأصولها وقواعدها وآدابها، ومدافعة العامية واللغات الأجنبية.
- والثانية: السعي إلى نشر العربية في عموم الأمة، وتدريسها للأجيال المتعاقبة، وتيسير وسائل تعليمها للناشئة، وتعريب المصطلحات العلمية الجديدة.

- **التغريب الأدبي**

عَلِم المستعمر – وعلم أذنابه من بعده – أن أساس الإسلام العربية، وأن أساس العربية آدابها، فبذل جهودا كبيرة في طمس الآداب العربية، وإقامة المناهج الأدبية الأوروبية في موضعها.

وانتشر التنكر للأدب القديم، ولطرائق أدباء العربية في التعبير، ومناهجهم وأغراضهم وأساليبهم.

وفشا بين أدباء الأمة الطعن على الشعر العمودي، وعلى ترتيب الشعراء المتقدمين لقصائدهم.

وكثر هذا النقد والطعن من أناس لم يتشبعوا بآداب العربية وعلومها، بل ولجوا عالم الأدب من باب الانبهار بما لدى الغرب من ثقافة، فكثرت لديهم الدعوة للتجديد في كل شيء، لا لشيء إلا ليقال عنهم: مجدّدون!

ويعجبني قول العقاد:

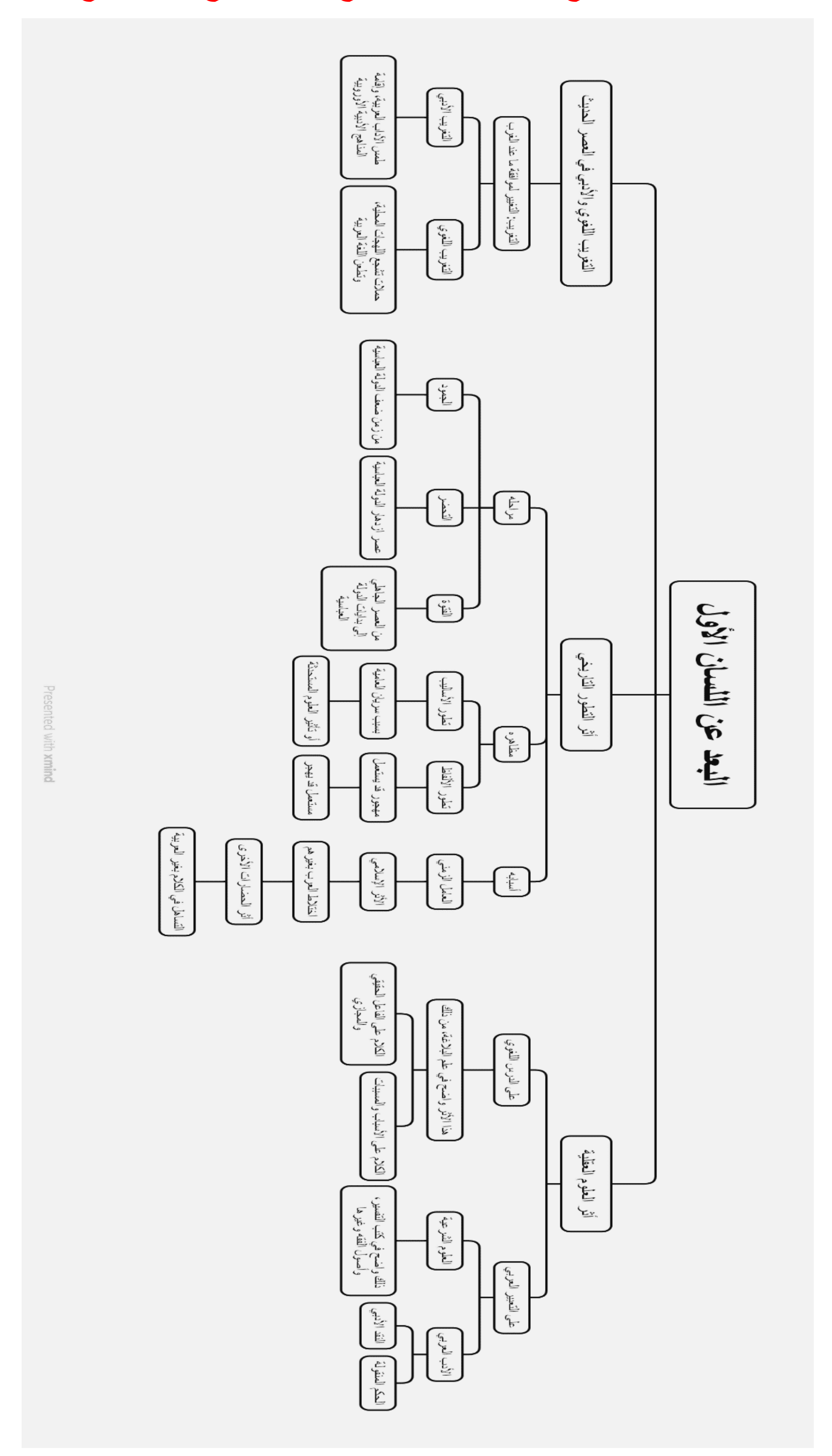
".. وليس من المجددين شعراء في هذا الزمان ينظمون وصف الطيارة لأن الأقدمين نظموا في وصف البعير.. وليس من المجددين شاعر يتحاشى كل مديح لكيلا يتهم بالتقليد.. وليس من المجددين

من يصف المعارض الصناعية لأنها من مستحدثات هذا الزمان وهو يظن الحداثة أن يصف كل حديث فحسب.."[28].

ثم انتشر أدب الحداثة بما فيه من الغموض، واستلهام الأساطير اليونانية، والاستعمال الكثيف للرموز التي تجعله بعيدا أشد ما يكون البعد عن أصول الأدب العربي.

28 ساعات بين الكتب: 172


التغريب اللغوي والأدبي
في العصر الحديث
التغريب: التغيير لموافقة ما عند الغرب
التغريب اللغوي
التغريب الأدبي
حملات تشجع اللهجات
المحلية، وتطعن اللغة العربية
طمس الآداب العربية، وإقامة المناهج
الأدبية الأوروبية
Presented with xmind


البعد عن اللسان الأول
أثر العلوم العقلية
على التعبير العربي
الأدب العربي
الحكم المنقولة
النقد الأدبي
العلوم الشرعية
ذلك واضح في كتب التفسير، وأصول الفقه وغيرها
على الدرس اللغوي
هذا الأثر واضح في علم البلاغة، من ذلك
الكلام على الأسباب والمسببات
الكلام على الفاعل الحقيقي والمجازي
أثر التطور التاريخي
أسبابه
العامل الزمني
الأثر الإسلامي
اختلاط العرب بغيرهم
أثر الحضارات الأخرى
التساهل في الكلام بغير العربية
مظاهره
تطور الألفاظ
مهجور قد يستعمل
مستعمل قد يهجر
تطور الأساليب
بسبب سريان العامية
أو تأثير العلوم المستحدثة
مراحله
القوة
من العصر الجاهلي إلى بدايات الدولة العباسية
التحضر
عصر ازدهار الدولة العباسية
الجمود
من زمن ضعف الدولة العباسية
التغريب اللغوي والأدبي في العصر الحديث
التغريب: التغيير لموافقة ما عند الغرب
التغريب اللغوي
حملات تشجع اللهجات المحلية، وتطعن اللغة العربية
التغريب الأدبي
طمس الآداب العربية، وإقامة المناهج الأدبية الأوروبية
Presented with xmind

الفصل الثاني

نقائص تدريس العربية

بينتُ في الفصل الأول معالم العقبة الأولى التي تعترض من يقصد إلى تعلم اللغة العربية الفصيحة، وهي: ما جرى على اللغة العربية من التطور – أو قل: الانحدار –، حتى صارت اللغة العصرية منبتّة الصلة باللسان العربي الأول.

وفي هذا الفصل الثاني نفصِّل العقبة الثانية، وهي تلك المتعلقة بوسائل تحصيل الملكة اللغوية؛ أو قل – إن شئت – بطرق تدريس اللغة العربية في عصرنا، وما يكتنفها من نقائص وعيوب، تمنع تمام التحصيل للملكة اللغوية، وتحول دون الوصول إلى الذوق العربي الفصيح، والمهارة اللغوية الراسخة.

والمتأمل لطرق التدريس هذه، لا يملك إلا أن يجعلها على قسمين كبيرين:

أحدهما: الطريقة التقليدية، المبنية على حفظ المتون ودراستها.

والثاني: الطريقة الأكاديمية العصرية، المنتشرة في المدارس والجامعات.

فليكن المبحثان القادمان – إذن – في بيان هذين القسمين.

والله الموفق.

المبحث الأول: التدريس التقليدي وتضخم المعلومات

لا يرتاب عارف بتاريخ دراسة العلوم وتوارثها بين الأجيال المتعاقبة، أن ما ابتدعه علماء الأمة الإسلامية في هذا المجال، يمكن عدّه ضمن أفضل الطرق وأنجعها.

ومن الدليل على ذلك: أن هذه الطريقة أثمرت نهضة علمية وحضارية هائلة، ممتدة على قرون متطاولة في الزمان، وعلى أوطان متباعدة في المكان. وأن إشعاع هذه النهضة لم يقتصر على العلوم الشرعية الخالصة، بل تعداها إلى سائر المعارف الإنسانية التي كانت متداولة في تلك العصور.

ولو شئنا الاختصار لقلنا إن أساس هذه الطريقة: دراسة المتون.

ولكنه اختصار مخل بما يمكن أن ينضوي تحت هذه العبارة من تعقيد وتفصيل.

فالمختصرات في علوم اللغة والشريعة وغيرهما لسدّ حاجة علمية، استدعاها توسع العلوم، وضعف الهمم عن التعامل المباشر مع المؤلفات الضخمة التي سطّرتها أقلام المبدعين الأوائل. فكان الاختصار لتيسير حفظ المسائل، وحسن ترتيبها في أذهان الطلبة، بعيدا عن الاستطرادات والتفصيلات التي لا يكاد يخلو منها كتاب من الكتب الأصلية في العلوم المختلفة.

وسُمِّيت هذه المختصرات متونا، واستأسد فيها النظم على النثر، لأن الأول أعلق بالذهن من الثاني.

وطال العهد، فاحتاج الطلبة إلى فك رموز هذه المختصرات، التي قارب الإيجاز فيها حد الإلغاز. فكتبت شروحٌ – وعلى الشروح حواشٍ – تحل ألفاظها، وتقيد مطلقها، وتبين مجملها. وسدّت الحلقة، فإذا المدرّسون والطلبة قد عادوا إلى التطويل الذي فروا منه، ولكن بعد أن كلفتهم

هذه الرحلة ثمنا غاليًا، هو: البعد عن المعين الأصلي، والتشرب بأساليب المناطقة والمتكلمين، والتضخم السرطاني للمعلومات التي يتلقاها الطالب، ويكون كثير منها من قبيل الشقشقة اللفظية، والمماحكة المتعنتة، التي لا طائل وراءها!

وهذه الطريقة – على علاتها – قد تخرّج بها خلق من أكابر العلماء، يندر أن يوجد لهم نظير بين المتخرجين بالطرق الجامعية العصرية.

وطريقة المتون تمنح سالكها ثروة علمية زاخرة، وتعينه على تنمية مجموعة من المهارات، منها:

- القدرة على جمع المتفرق من المباحث العلمية، وترسيخها في الذهن على هيئة محكمة الترتيب، بحيث يُلحق حافظ المتن – عند المطالعة والتوسع العلمي – كل فائدة مستجدة بموضعها اللائق بها، حتى يكتمل البناء العلمي.

- القدرة على استحضار المسائل والدلائل. والذي لا يحفظ المتون، يعجز عن استرجاع المعلومات التي قرأها وفهمها، مع عدم ارتيابه في معرفتها.

- الفهم الجيد، فإن حفظ المعلومات يساعد على فهمها. فالحفظ وما يلزمه من تكرار ومراجعة وإدامة نظر واستحضار في أوقات مختلفة، يفتح مغلق المعاني، ويذلل صعوبات الفهم.

وقديما نقل اللغوي العبقري أبو الفتح ابن جني، عن شيخه الصاعقة أبي علي الفارسي أنه قال: قال لنا أبو بكر ابن السراج: "إذا لم تفهموا كلامي فاحفظوه، فإنكم إذا حفظتموه فهمتموه"[29].

29 الخصائص لابن جني: 216/1

تنمية القدرة على التعامل مع اللفظ المغلق، والتعبير الغامض. وذلك لأن المتون تؤلّف بعبارة مختصرة عسيرة. وما يبذله الطالب من الجهد في حل مقفلها – على مفاسده – لا يخلو من مصلحة ظاهرة، هي شحذ الذهن واعتياد التعامل مع المصاعب الفكرية.

- تحقيق التكامل المعرفي بين الفنون المختلفة. فالطالب يجد في شروح المتن الفقهي استطرادات يراجع بها بعض مباحث النحو، وفي شروح متن البلاغة إشارات لبعض المباحث العقدية، وهلمّ جرا.

ويمكن للمتتبع أن يستخرج فوائد أخرى كثيرة، لا بد من استحضارها قبل الكلام عن العيوب والنقائص.

ليس العيب في فكرة اختصار الكتب لتسهيل حفظها، فهي طريقة أوجدَتها الحاجة، ولكن العيب – في نظري – يتركز في محورين اثنين:

أولهما: في المضمون المدرّس،

والثاني: في وسائل التدريس.

- **إشكالات المضمون المدرس:**

سببها: الجمود على متون مخصوصة مشتهرة في كل فن من فنون العربية، وعدم الجرأة على التعامل مع متون أو كتب أخرى أقل شهرة وتداولا، وإن كانت أعظم نفعا.

وهذا الجمود راجع – في معظمه – إلى آفة التقليد التي استشرت في الأمة في عصورها الأخيرة. ولكن يمكننا أن نصنف الأسباب نوعين اثنين:

أسباب ذاتية: وهي ما يعتري كثيرا من المدرسين من الكسل عن استحداث مضامين تدريسية مخالفة لما اعتادوه ودرسوه عند شيوخهم، والجبن عن مخالفة السائد في البيئة العلمية التقليدية.

أسباب موضوعية: وهي أن المتون المشهورة مخدومة بما يكفي من الشروح والحواشي، فيسهل على المدرس حل ألفاظها واستخراج مكنوناتها، ويسهل على الطالب فهم المواضع المغلقة بالبحث القليل، إن لم يجد عند مدرّسه بغيته.

ويزاد على ما سبق، أن الطالب يتحرك في بيئة علمية معينة، يعسر عليه تجاوزها لارتباطه بها تأثيرا وتأثرا. ولذلك يقبح به أن يجهل المتون المتداولة في هذه البيئة، وإلا كان كالغرس المنبتّ عن تربته، أو السمك المنقطع عن بحيرته! والطالب إذا تعلم المتون غير المشهورة، احتاج بعد ذلك إلى الرجوع إلى عقبيه، ليتعلم المشهور المتداول، فكان الجهد في حقه مضاعفا، والبلاء كبيرا!

ولا يمكن حل هذا الإشكال إلا بجهد من كبار العلماء المنظور إليهم والمقتدى بفعلهم، يجعل غايته اعتماد متون بدلا من أخرى، وتغيير منهج الدراسة كاملا. ثم يتبعهم على ذلك عامة المدرسين، الذي لا قدرة لهم على المواجهة الفردية لارتباطات البيئة.

ومن إشكالات المتون أيضا: الحشو والتطويل، الذي يرهق الطلبة عند الحفظ في غير كبير فائدة ترجع عليهم.

ومن الإشكالات أيضا: سوء ترتيب المتون، بأن يُدَرَّس للطالب المبتدئ ما يلائم المنتهي.

- **إشكالات وسائل التدريس:**

تزاد على الإشكالات المتعلقة بالمضمون المدرّس، إشكالاتٌ أخرى مرتبطة بالقصور الشديد في تطبيق هذا المضمون – على علّاته!

والحق أن جميع ما سبق ذكره من الإشكالات، يمكن تداركه بمنهجية تعليمية متكاملة، تسد الثغرات، وتركز على المقاصد والغايات، وتتجاوز العوائق والمثبطات.

إلا أن حالة الجمود السائد تمنع من تطوير الدراسة، بل تزيد صعوبات على صعوبات، حتى تتراكم الأخطاء! وسأسرد بعض الأخطاء التي أراها صارت ملازمة لهذه الطريقة، يندر أن تنفك عنها.

الانشغال بدراسة الألفاظ:

يقصد به الاشتغال بالمباحث اللفظية على حساب المضامين المقصودة بالأصالة. فيقع التركيز على حل ألفاظ المتون والشروح، واستغراق الأوقات في مراجعة الحواشي المغرقة في الصناعة اللفظية والاحتمالات العقلية.

ومما يدخل في هذا الباب من العيوب: تكلف تصحيح كلام صاحب المتن – ولو كان ظاهر الغلط – بإيراد صنوف من الاحتمالات اللفظية المتعسفة.

فقر التمثيل:

وهذا إشكال قديم، فقد طالت شكوى الناس من ضرب زيد عمرا.

والحق أن هذا التمثيل الموجود بوفرة في كتب النحو القديم أسهل على المؤلف والمدرّس، لأنه يصبّ التركيز كله على القاعدة النحوية بدلا من الانشغال بالبحث عن مثال ملائم في معناه ومبناه،

قد لا يخلو من تشتيت لذهن المتلقي عند تأمله. ولكن الإصرار على تكرار هذه الأمثلة يضيّق أفق المتعلم جدا، ويمنعه من الانطلاق بالقاعدة النحوية من الشاهد التعليمي إلى فضاء التطبيق الأدبي الرحب.

وقد نبه ابن خلدون على أهمية ربط الطالب بالكتب النحوية المشتملة على شواهد أدبية كثيرة، فقال عن كتاب سيبويه:

".. فإنّه لم يقتصر على قوانين الإعراب فقط، بل ملأ كتابه من أمثال العرب وشواهد أشعارهم وعباراتهم، فكان فيه جزء صالح من تعليم هذه الملكة، فتجد العاكف عليه والمحصّل له، قد حصل على حظّ من كلام العرب واندرج في محفوظه في أماكنه ومفاصل حاجاته. وتنبّه به لشأن الملكة، فاستوفى تعليمها فكان أبلغ في الإفادة.

ومن هؤلاء المخالطين لكتاب سيبويه من يغفل عن التّفطّن لهذا، فيحصل على علم اللّسان صناعة ولا يحصل عليه ملكة. وأمّا المخالطون لكتب المتأخّرين العارية عن ذلك إلّا من القوانين النحويّة مجرّدة عن أشعار العرب وكلامهم، فقلّ ما يشعرون لذلك بأمر هذه الملكة أو ينتبهون لشأنها، فتجدهم يحسبون أنّهم قد حصلوا على رتبة في لسان العرب، وهم أبعد النّاس عنه.

وأهل صناعة العربيّة بالأندلس ومعلّموها أقرب إلى تحصيل هذه الملكة وتعليمها من سواهم، لقيامهم فيها على شواهد العرب وأمثالهم، والتّفقّه في الكثير من التّراكيب في مجالس تعليمهم، فيسبق إلى المبتدئ كثير من الملكة أثناء التّعليم، فتنطبع النّفس بها وتستعدّ إلى تحصيلها وقبولها.

وأمّا من سواهم من أهل المغرب وإفريقية وغيرهم، فأجروا صناعة العربيّة مجرى العلوم بحثا، وقطعوا النّظر عن التّفقّه في تراكيب كلام العرب، إلّا إن أعربوا شاهدا أو رجّحوا مذهبا، من جهة

الاقتضاء الذّهنيّ، لا من جهة محامل اللّسان وتراكيبه. فأصبحت صناعة العربيّة كأنّها من جملة قوانين المنطق العقليّة أو الجدل، وبعدت عن مناحي اللّسان وملكته وأفاد ذلك حملتها في هذه الأمصار وآفاقها البعد عن الملكة بالكليّة، وكأنّهم لا ينظرون في كلام العرب. وما ذلك إلّا لعدولهم عن البحث في شواهد اللّسان وتراكيبه وتمييز أساليبه، وغفلتهم عن المران في ذلك للمتعلّم، فهو أحسن ما تفيده الملكة في اللّسان.."[30].

وقد نقلته بطوله لنفاسته، فتأمله تستفد!

ندرة التطبيق:

يعتني المدرس في الطريقة التقليدية بشرح المتن، ويكون جل همّه أن يفهمه الطلبة، بقطع النظر عن قدرتهم على تطبيق القواعد المذكورة فيه على المادة اللغوية والأدبية.

ونتيجة هذا: أن الطالب يخرج بحصيلة "معلوماتية" كبيرة، ولكنه لا يقدر على استثمارها في تطوير مؤهلاته اللغوية، فيشعر أن طلب العلم لم يزده شيئًا ذا بال!

ضعف تعليم المهارات اللغوية:

ومما يرتبط بجانب التطبيق: انعدام تعليم المهارات اللغوية، بموازاة شرح المتون المقررة.

فمن هذه المهارات:

- مهارة الخطابة، والقدرة على التعبير الشفهي، في موضوعات مختلفة.

30 مقدمة ابن خلدون: 2/385-386

- مهارة الإيجاز والإطناب، بحسب حاجة المتلقي.
- مهارة نثر الشعر، والقدرة على التعبير الكتابي عن المعنى الواحد بتراكيب متباينة.
- مهارة توليد المعاني البليغة.
- مهارة نظم الشعر.

ولأن المجال لا يسمح بتفصيل هذه المهارات، ولا بإضافة أخرى فسأكتفي بالإشارة المختصرة إلى مقصودي بالمهارة الأخيرة التي سميتها: مهارة نظم الشعر.

فأقول: إن هذا شيء زائد على مجرد تعلم التقطيع العروضي ومعرفة أوزان البحور، وقواعد القافية. بل هي مهارة تكتسب – بعد تعلم العروض والقوافي – بالممارسة الطويلة، ويمكن اختصار مسافتها بالتطبيقات العملية المختارة.

فمن التطبيقات الملائمة مثلا: أن يعرض على الطالب بيت مكسور الوزن أو فيه بعض عيوب القافية، ويطلب منه إصلاحه بأقل جهد، أي: دون تغيير كبير.

ومن التطبيقات أيضا: أن يطلب تغيير كلمة في بيت شعري، بكلمة أخرى تقاربها في المعنى، ويبقى الوزن بها سالما من الكسر.

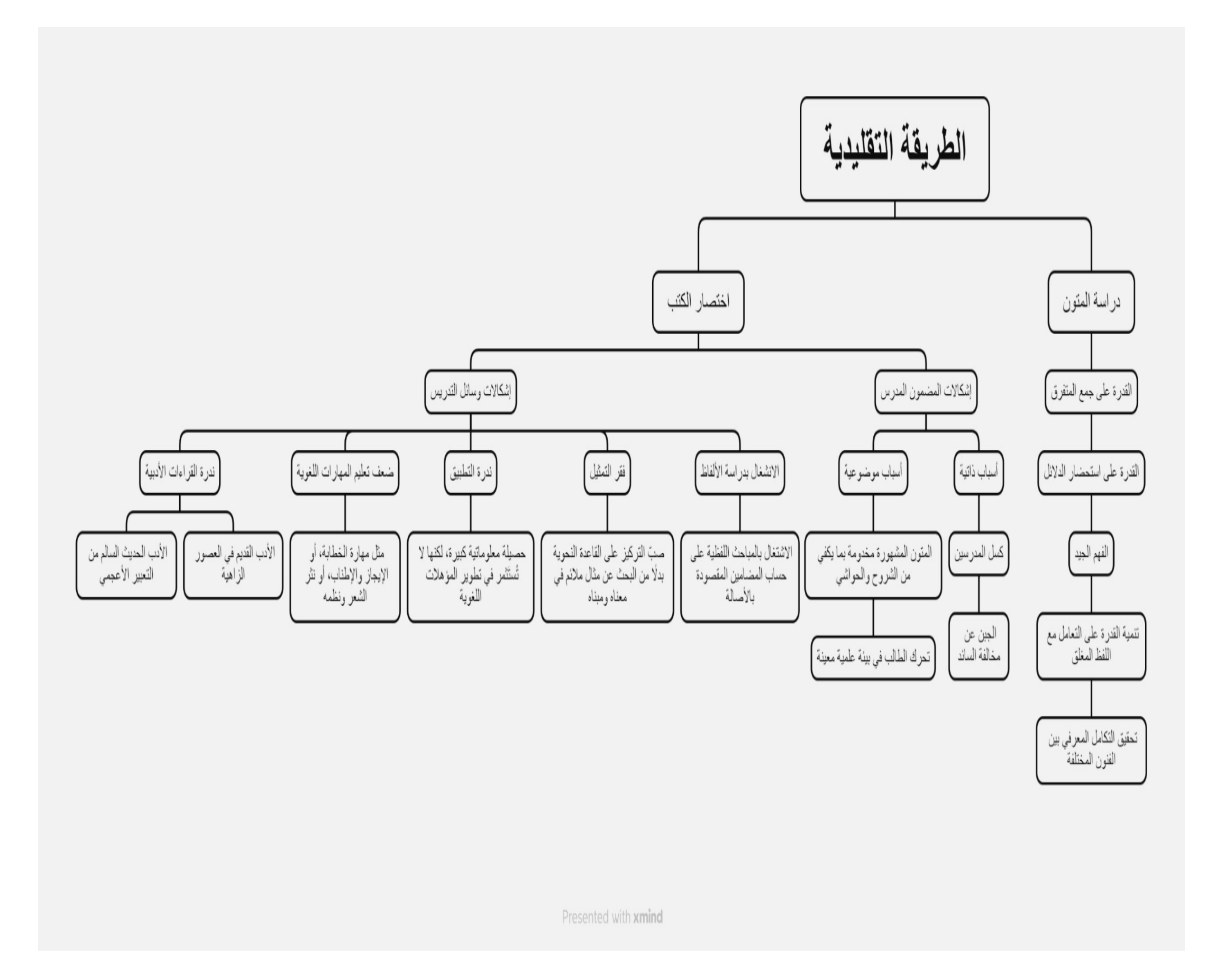
ومن التطبيقات أيضا: التدرب على زيادة بعض الألفاظ أو نقصها، ليستقيم الوزن دون إخلال بقواعد النحو، ولا تأثير في البلاغة. وعلى المدرّس أن ينبّه الطالب على اجتناب الإكثار من الحشو الذي لا يقصد به غير إقامة الوزن.

ندرة القراءات الأدبية:

لا تستقيم اللغة في أذهان الطلبة إلا بالقراءة الكثيرة في كتب الأدب، تحت إشراف المدرّس، وبإرشاد منه إلى النافع منها.

والمقصود بالأدب النافع هنا أحد شيئين:

- الأدب القديم في العصور الزاهية، قبل تسرب التكلف والصناعة، ومراعاة المهارات اللفظية إليه.
- الأدب الحديث السالم من التعبير الأعجمي، والمناهج الأدبية الحداثية.


الطريقة التقليدية
دراسة المتون
اختصار الكتب
القدرة على جمع المتفرق
القدرة على استحضار الدلائل
الفهم الجيد
تنمية القدرة على التعامل مع اللفظ المغلق
تحقيق التكامل المعرفي بين الفنون المختلفة
إشكالات المضمون المدرس
إشكالات وسائل التدريس
أسباب ذاتية
كسل المدرسين
الجبن عن مخالفة السائد
أسباب موضوعية
المتون المشهورة مخدومة بما يكفي من الشروح والحواشي
تحرك الطالب في بيئة علمية معينة
الانشغال بدراسة الألفاظ
الانشغال بالمباحث اللفظية على حساب المضامين المقصودة بالأصالة
فقر التمثيل
صبّ التركيز على القاعدة النحوية بدلًا من البحث عن مثال ملائم في معناه ومبناه
ندرة التطبيق
حصيلة معلوماتية كبيرة، لكنها لا تُستثمر في تطوير المؤهلات اللغوية
ضعف تعليم المهارات اللغوية
مثل مهارة الخطابة، أو الإيجاز والإطناب، أو نثر الشعر ونظمه
ندرة القراءات الأدبية
الأدب القديم في العصور الزاهية
الأدب الحديث السالم من التعبير الأعجمي
Presented with xmind

المبحث الثاني: التدريس الأكاديمي وتضخم المنهجية

في العصر الحديث، انتشر التعليم الأكاديمي الجامعي، وحرص القائمون عليه – منذ مرحلة التأسيس – على إحداث قطيعة منهجية مع التعليم العتيق، واقتباس المناهج التعليمية الحديثة من الغرب.

إلا أن تطبيق هذه المناهج بحذافيرها على علوم اللغة العربية، أنتج إشكالات كثيرة، أضيفت إلى العيوب الذاتية لهذه المناهج التعليمية، وإلى تغييب ما في المناهج العتيقة من الفضائل. فاجتمعت هذه الأنواع الثلاثة من الخلل، لتجعل التعليم اللغوي في أغلب الجامعات في العالم العربي، يعاني من عيوب منهجية ضخمة، ويضرب بنصيب وافر في الأزمة اللغوية العامة.

وقبل ذكر العيوب، فإن من المناسب أن أذكر أن التعليم الجامعي العصري، قدم للدرس اللغوي فوائد جمة، وفتح أمام طلبة العربية آفاقا واسعة من التجديد في أساليب التدريس، واعتماد المناهج الحديثة في البحث، وتقوية المضامين القديمة بالنظريات اللسانية الحديثة، وما أشبه ذلك من الأثر الإيجابي النافع، الذي لا سبيل إلى إنكاره.

كما أن العيوب التي سأذكرها هنا ليست موجودة في الجامعات كلها، وإنما هي سمة ظاهرة للتعليم الجامعي، تستقل منها بعض الجامعات وتستكثر منها أخرى!

ويمكن تصنيف عيوب هذه الطريقة أيضا في محورين اثنين:

الأول: المضمون.

والثاني: أساليب التدريس.

- **إشكالات المضمون المدرّس:**

يمكن اختصارها فيما يلي:

المناهج.. المناهج!:

والمقصود كثرة اشتغال الأساتذة والطلبة بدراسة المناهج العلمية اللغوية على حساب المضمون اللغوي. وبعبارة أخرى: أهل الجامعة يتحدثون عن اللغة أكثر مما يتعلمونها!

ولذلك تجد الطالب المتخرج من الجامعة يمكنه أن يحاضر بيسر عن الاختلافات بين المدارس النحوية، وعن نشأة علم البلاغة وتطوره، وما أشبه ذلك؛ ولكنه يكون عاجزا أشد العجز عن استحضار أوليات علمي النحو والصرف، أو عن إعراب آية مشكلة أو بيت من الشواهد المشهورة، أو عن استخراج القواعد البلاغية من آية قرآنية، أو عن معاني مفردات لغوية من الغريب يتداولها أهل الأدب القديم.

ضمور المادة اللغوية:

البرامج الدراسية الجامعية تعاني من ضعف المادة العلمية اللغوية بالمقارنة مع العلوم الأخرى؛ إذ يقضي الطالب وقتا طويلا في علوم مثل اللسانيات وتقنيات التواصل ومناهج البحث وبعض اللغات الأخرى، قبل التمكن من أسس علوم العربية.

الانقطاع عن الكتب:

والمقصود: اعتماد المذكرات المدرسية بدلا من الكتب. وهذا من مظاهر الانحطاط في الجامعة، فربط الطلبة بالمذكرات المختصرة التي يكتبها الأستاذ لطلبته ليجتازوا بها الامتحان، بدلا من ربطهم

بالمؤلفات التي كتبت لأغراض علمية خالصة بعيدة عن جو الدراسة، يؤدي بالطلبة إلى الوقوع في الضعف العلمي المستحكم، وعدم القدرة على التعامل مع النتاج العلمي خارج أسوار الجامعة.

ومن الطرق العلمية المفيدة: تقرير قوائم كتب للقراءة والتوسع في المادة، تضاف إلى الكتاب المقرر الذي يكون الأصل المعتمد في التدريس.

الانقطاع عن التراث:

في الجامعة يكثر أن تعتمد الكتب الحديثة بدلا من الأصول التراثية الرصينة.

وهكذا يُعتنى – عندما تقرر الكتب على الطلبة – بكتب المعاصرين تحت ذريعة اليسر وسهولة الأسلوب. ونتيجة هذا الاختيار: عدم تمرس الطالب الجامعي بالأساليب التراثية، وعدم قدرته على التعامل مع كتب اللغة القديمة.

- **إشكالات وسائل التدريس:**

إلى جانب الخلل في المضمون، هنالك خلل آخر لا يقل عنه سوءا في طرق التدريس.

ومما يمكن رصده في هذا المجال:

فصل العربية عن الشريعة:

الأصل أن تدرّس اللغة العربية تحت مظلة دينية شاملة، تحتويها مع العلوم الشرعية الأخرى. وعلى هذا كان الأمر في تاريخ الأمة العلمي دون استثناء.

ولكن الحال بعكس ذلك في أغلب جامعاتنا!

ونتيجة هذا الانفصام، استئثار بعض المخالفين للدين بالتدريس اللغوي، مما يمكنهم من تقرير أصول غير شرعية يبثونها في أثناء الدراسات اللغوية، وتخريج طلبة منقطعين عن التصور الإسلامي في اللغة والأدب.

غياب التدرج العلمي:

ملخصه: الانتقال السريع من مبادئ العلم إلى غاياته، مع التقصير الشديد في إتقان تلك المبادئ.

وهنالك أسباب كثيرة وراء هذا الخلل، منها: كثافة المواد الواجب إنهاؤها في المسار التعليمي، وكثرة التوقفات الدراسية لأسباب مختلفة مما يمنع إتقان المادة في وقتها المحدد، والحرص على أن يصل الطالب في نهاية مساره الجامعي إلى الكتب المفصلة المخصصة للمنتهين في العلم، وغير ذلك.

والنتيجة الحتمية لهذا الأمر: أن الطالب يعرف نتفا متفرقة من مقاصد العلم، قبل التمكن من أصوله؛ ويؤدي به ذلك إلى الشعور الوهمي بإتقان العلم والتخصص فيه، والحال بخلاف ذلك في الغالب.

قلة الحفظ:

يقل في المناهج الأكاديمية الاعتناء بالحفظ، وهذا عيب كبير عموما، ويتأكد الخلل في علوم اللغة التي مبناها على النقل والرواية.

ونتيجة هذا النقص: نسيان الطالب لأكثر المعلومات التي يتلقاها خلال دراسته الجامعية عند مغادرته لأسوارها.

الشروع في الكتب دون ختمها:

إن الالتزام الصارم بالبرامج ومددها الزمنية، يؤدي – في كثير من الأحيان – إلى عدم ختم الكتب المقررة. وهذا نقص شديد في الدراسة الجامعية، إذ لا يستطيع الطالب الجامعي أن يدّعي إتقانه لكتاب نحوي أو صرفي أو بلاغي أو لغوي كامل، إلا أن يكون ذلك بجهد شخصي خارج الجامعة.

ويكثر في المتخرجين من الجامعات اللغوية، ألا يكونوا قد طالعوا الكتب المشهورة المتداولة في علوم العربية، فضلا عن الكتب النادرة.

فاقد الشيء لا يعطيه:

بسبب عدم الانفتاح على الكفاءات العلمية خارج الجامعة، لعدم توفرها على الشهادة الأكاديمية اللازمة، فإن هنالك نقصا في درجة التمكن العلمي عند بعض الأساتذة الجامعيين.

فهي حلقة مفرغة تدور الجامعة فيها، ولا يمكن التخلص منها إلا بفتح الباب أمام غير الأكاديميين.

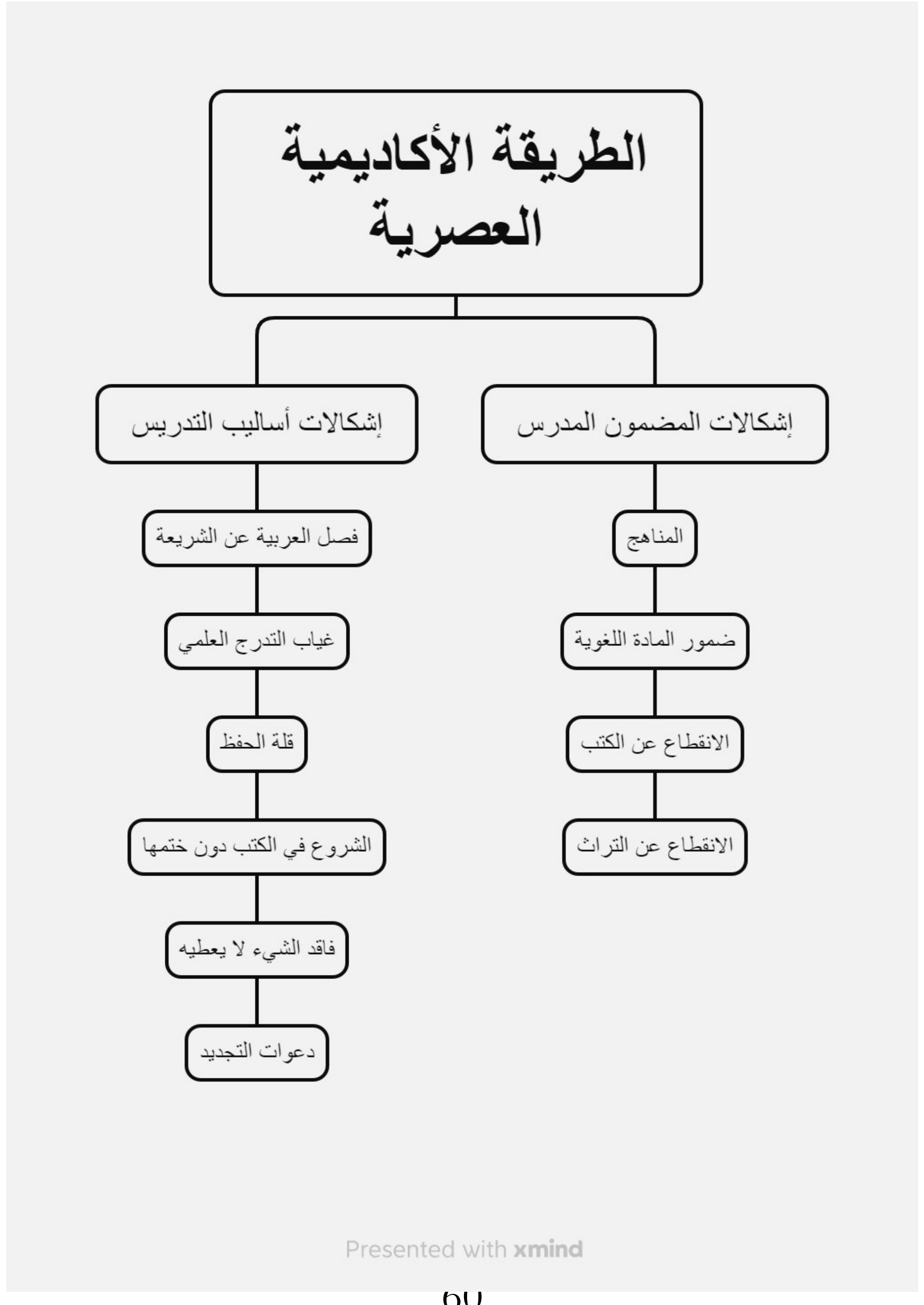
دعوات التجديد:

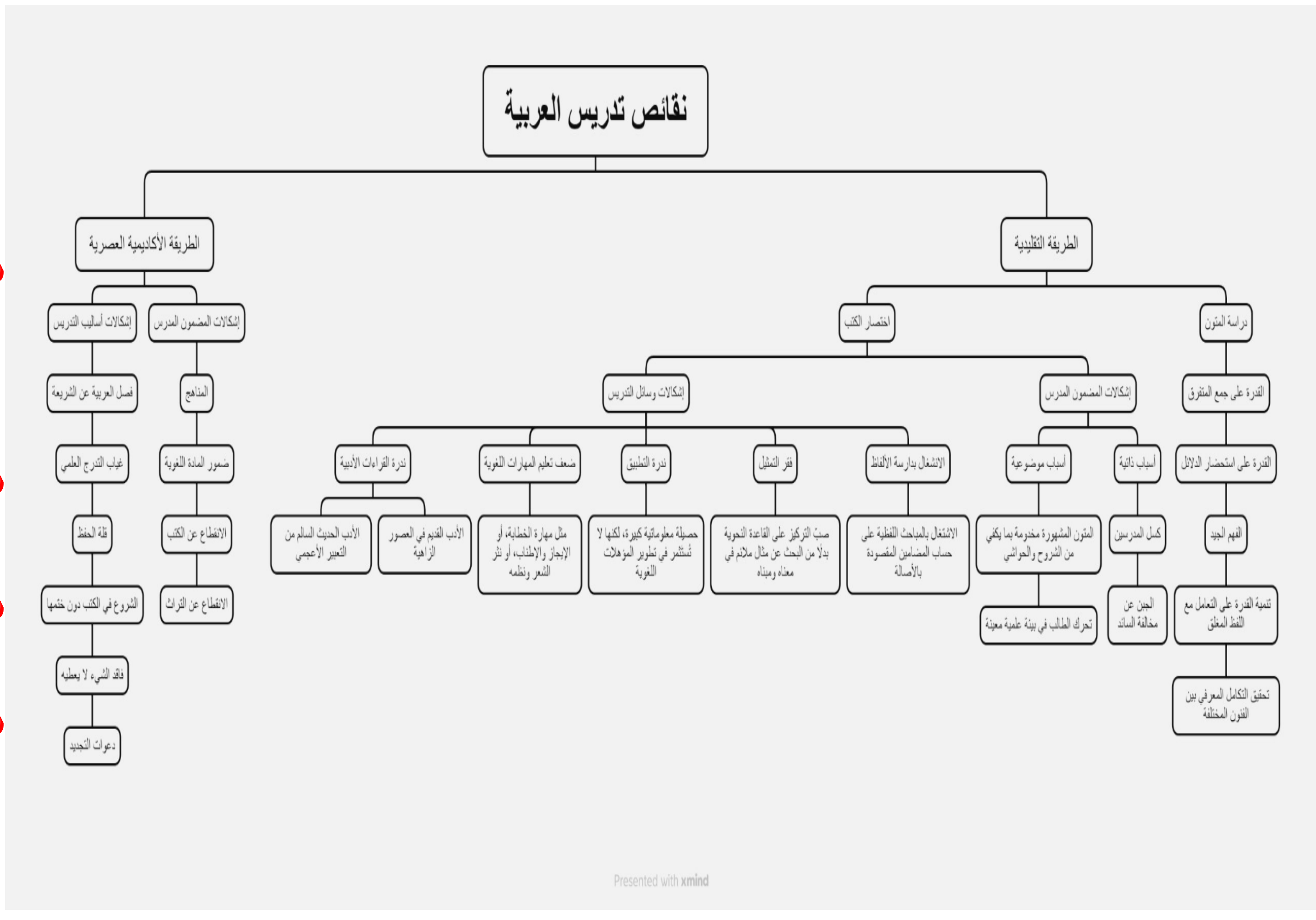
تكثر في الجامعة الدعوات إلى التجديد في علوم اللغة، وكثير منها رأي فطير، لم ترسخ جذوره، ولم يستقم عوده، ولم تبرز ثمراته.

ولا شك أن مناقشة هذه الدعوات التجديدية بين أهل التخصص مقبولة، ولكن المشكلة حين تعرض هذه الدعوات على المبتدئين، فيفضي بهم ذلك إلى احتقار البناءات العلمية التراثية،

وكثرة اللهج بنقدها وانتقاصها، مع العجز عن تصور البديل الذي يقترحه دعاة التجديد تصورا صحيحا.

فيضيع الطالب المسكين بين علم مهدوم، وبديل معدوم!




نقائص تدريس العربية
الطريقة التقليدية
دراسة المتون
القدرة على جمع المتفرق
القدرة على استحضار الدلائل
الفهم الجيد
تنمية القدرة على التعامل مع اللفظ المغلق
تحقيق التكامل المعرفي بين الفنون المختلفة
اختصار الكتب
إشكالات المضمون المدرس
أسباب ذاتية
كسل المدرسين
الجبن عن مخالفة السائد
أسباب موضوعية
المتون المشهورة مخدومة بما يكفي من الشروح والحواشي
تحرك الطالب في بيئة علمية معينة
إشكالات وسائل التدريس
الانشغال بدراسة الألفاظ
الانشغال بالمباحث اللفظية على حساب المضامين المقصودة بالأصالة
فقر التمثيل
صب التركيز على القاعدة النحوية بدلا من البحث عن مثال ملائم في معناه ومبناه
ندرة التطبيق
حصيلة معلوماتية كبيرة، لكنها لا تُستثمر في تطوير المؤهلات اللغوية
ضعف تعليم المهارات اللغوية
مثل مهارة الخطابة، أو الإيجاز والإطناب، أو نثر الشعر ونظمه
ندرة القراءات الأدبية
الأدب القديم في العصور الزاهية
الأدب الحديث السالم من التعبير الأعجمي
الطريقة الأكاديمية العصرية
إشكالات المضمون المدرس
المناهج
ضمور المادة اللغوية
الانقطاع عن الكتب
الانقطاع عن التراث
إشكالات أساليب التدريس
فصل العربية عن الشريعة
غياب التدرج العلمي
قلة الحفظ
الشروع في الكتب دون ختمها
فاقد الشيء لا يعطيه
دعوات التجديد
Presented with xmind

الباب الثاني

خطة تكوين الملكة اللغوية

لست أزعم في هذا الباب أنني سأقترح عليك شيئا ساحرا، يجعلك تنتقل في طرفة عين من جاهل بالعربية، مقصّر في تعلمها، يسير على ما يوافق حال هذا العصر الذي يغالب الضعف اللغوي أهله، إلى عربي قح، نقي الذوق، طاهر اللفظ من أدران العجمة!

ولكنني أزعم أنني سأرشدك إلى طريق إن أنت سلكته، وقد حملت من الزاد ما يكفيك، وأعددت للسفر الطويل عدّته، ووطنت نفسك على مكابدة عناء الغربة وشظف الوحدة في تلك الفيافي الموحشة؛ لم تلبث أن تشرف على روضة مريعة غناء، يغبطك عليها من استكانوا إلى الإقامة في خفض العيش، واستوحشوا من الترحال وما فيه من المصاعب.

ولست أدعي أيضا أن هذا السفر متاح لكل أحد، بل دون ذلك أمران لا بد من تهيئتهما:

الأول: شيء من الموهبة الفطرية، والاستعداد الأصلي، الذي يعين على نشوء الملكة واكتمالها، والتأهل الفطري يكون مستورا مختفيا، فلا بد من جهد في استخراجه واكتشافه.

وكثير من الناس لا يحفلون بمواهبهم المختبئة في صدورهم، حتى تصدأ ويتسلط عليها النسيان والغفلة. وينصح الجاحظ أمثال هؤلاء بقوله:

"ولا تهمل طبيعتك فيستولي الإهمال على قوة القريحة، ويستبد بها سوء العادة".[31]

---

31 البيان والتبيين: 200/1

على أنني أحب أن أطمئنك أن من ليست له موهبة مطلقا، قد لا يصل إلى أعلى المراتب في هذا المجال، لكنه لن يعدم –أثناء دراسته– خيرا كثيرا يحصله وأجرا عظيما يرجوه!

والأمر الثاني: ما أشرت له آنفا من أن الملكة اللغوية لا تنال إلا بجهد وعمل!

من آفات العصر: استسهال العلم!

"إن شرّ ما ابتليت به الثقافة أن يقال إنها لذة ليس إلا، وأن ينسى أن مع هذا أن اللذة لا تكون إلا باستعداد، وأن الاستعداد لا يتم بغير الصبر والمراس، وصدق أبو تمام حيث قال:

بَصُرتَ بالرَّاحةِ الكُبرى فلم تَرَها

تُنالُ إلَّا على جِسرٍ مِن التَّعَبِ"[32].

وقديما قال يحيى بن أبي كثير: (لا ينال العلم براحة الجسم).

فوطّن نفسك إن أردت تحصيل الملكة على كثير من الكد والجهد، ومعالجة المشقات والصعاب.

وقد فشا في أوهام كثير من الناس أن تحصيل العربية مرادف لتعلم بعض قواعد النحو. وليس الأمر كذلك فالزاد العلمي لا يكفي لتحصيل ملكة اللغة.

وقد قال ابن الأثير قديما: "فن الفصاحة والبلاغة غير فن النحو والإعراب"[33].

---

32 ساعات بين الكتب: 584

33 المثل السائر: 87/2

ولأجل هذا كان من اللازم الجمع بين مهارتين:

- **المعرفة العلمية النظرية،**
- **والتدريب العملي التطبيقي**[34].

وهذا مضمون الفصول الآتية – إن شاء الله.

34 مهارات اللغة العربية لعبد الله علي مصطفى: 43

الفصل الأول

الزاد العلمي

سأذكر في هذا الفصل خمسة علوم هي: النحو والصرف والبلاغة والعروض (ومعه القوافي) والإملاء.

وفي كل علم، أكتفي بذكر الحد الأدنى الذي لا بد من تحصيله لتحقيق الملكة اللغوية، كما سأشير إلى بعض النصائح والأمور التي ينبغي التنبه إليها عند تعلم العلم، وأعقِّب بذكر بعض المواد والكتب النافعة.

المبحث الأول: في النحو والصرف

النحو والصرف كالشقيقين المتباينين في الطباع الباطنة والأقوال الظاهرة، لكنهما مجتمعان أبدا لا يتصور افتراقهما!

فهذان العلمان يبحثان في مجالين مختلفين الاختلاف كله، إذ يعتني علم النحو بأحوال آواخر الكلمات من إعراب أو بناء في حال التركيب. أما علم الصرف فمجاله النظر في بنية الكلمة المفردة، بقطع النظر عن تركيبها مع كلمات أخرى.

فاختلفا إذن في موضع النظر، إذ هو آخر الكلمة في النحو، وبنية الكلمة كلها في الصرف.

واختلفا في حال النظر، فالنحو ينظر للكلمة مركبة، والصرف ينظر إليها من حيث هي.

ولكن مع ذلك فهما مجتمعان منذ أن كانا، لا يكاد يقوم أحدهما دون الآخر، ولا يكاد يستقل أحدهما عن قرينه في منهج تدريسي.

وهكذا نجد في الكتب الأصلية القديمة ككتاب سيبويه: العلمين معا، ونجد الاجتماع نفسه في متن الخُلاصة الألفية المشهور، والذي عليه اعتماد المتأخرين جميعهم في دراسة هذين العلمين.

وهذان العلمان هما أساس العربية، ولا قيام لها إلا بهما، ولا يتصور خلو طالب اللغة والأدب من معرفتهما، ولو أن تكون تلك المعرفة في أدنى صورها. وقد كان النحو يسمى في بعض الأزمنة السابقة: علم العربية، تنبيها على كونه اللب والأساس.

وليعلم أن أهمية تعلم النحو والصرف وعلاقتهما بعلوم الشريعة تتبيّن بعدة أمور:

1) تعلمهما فرض على الكفاية:

"معلوم أن تعلم العربية وتعليم العربية فرض على الكفاية، وكان السلف يؤدبون أولادهم على اللحن، فنحن مأمورون أمر إيجاب أو أمر استحباب أن نحفظ القانون العربي، ونصلح الألسنة المائلة عنه، فيحفظ لنا طريقة فهم الكتاب والسنة، والاقتداء بالعرب في خطابها، فلو ترك الناس على لحنهم كان نقصا وعيبا"[35].

2) ضبطهما من الدين:

"إن الله لما أنزل كتابه باللسان العربي، وجعل رسوله مُبلّغا عنه الكتاب والحكمة بلسانه العربي، وجعل السابقين إلى هذا الدين متكلمين به، ولم يكن سبيل إلى ضبط الدين ومعرفته إلا بضبط هذا اللسان، صارت معرفته من الدين، وصار اعتبار التكلم به أسهل على أهل الدين في معرفة دين الله، وأقرب إلى إقامة شعائر الدين، وأقرب إلى مشابهتهم للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار في جميع أمورهم"[36].

3) من أدوات العلم ومفتاح التفقه في الدين:

"من أحبَّ العربيّةَ عُنِيَ بها، وثابرَ عليها، وصرفَ هِمَّتهُ إليها، والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهُّمها من الديانة؛ إذ هي أداة العلم، ومفتاح التفقه في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد، ثم هي لإحراز الفضائل والاحتواء على المروءة وسائر أنواع المناقب كالينبوع للماء، والزند

35 مجموع الفتاوى لابن تيمية: 252/32

36 اقتضاء الصراط المستقيم، (دار عالم الكتب): 450/1

للنار، ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها والوقوف على مجاريها ومصارفها والتبحر في جلائها ودقائقها إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن، وزيادة البصيرة في إثبات النبوة التي هي عمدة الإيمان؛ لكفى بهما فضلا يَحْسُنُ فيهما أثره ويطيب في الدارين ثمره، فكيف وأيسر ما خصَّها الله عز وجل به من ضروب الممادح يُكِلُّ أقلام الكتبة، ويُتعب أنامل الحسبة، ولمَّا شرفها الله – عزَّ اسمه – وعظَّمها، ورفع خطرها، وكرَّمها، وأوحى بها إلى خير خلقه، وجعلها لسانَ أمينه على وحيه، وأسلوب خلفائه في أرضه، وأراد بقاءها ودوامها حتى تكون العاجلة لخير عباده، وفي تلك الآجلة لساكني دار ثوابه قيَّض لها حفظةً وخزنةً من خواصِّ الناس وأعيان الفضل وأنجُمِ الأرض فنسُوا في خدمتها الشهوات، وجابوا الفلوات، ونادموا لاقتنائها الدفاتر، وسامروا القَمَاطِر[37] والمحابر، وكدُّوا في حصر لغاتها طباعَهم، وأسهروا في تقييد شواردها أجفانهم، وأجالوا في نظم قلائدها أفكارهم، وأنفقوا في تخليد كتبها أعمارهم فعظُمت الفائدة، وعمَّتِ المصلحة، وتوفرتِ العائدة..."[38].

4) علاقة تعلمهما بتفسير كتاب الله جل جلاله ومعرفة أسراره:

"إنما يُعرف فضل من عرف كلام العرب، وعلم العربية، وعرف علم البيان، ونظر في أشعار العرب وخطبها، ومقالاتها في مواطن افتخارها، ورسائلها وأراجيزها وأسجاعها، فعلم منها تلوين الخطاب ومعدوله، وفنون البلاغة، ودروب الفصاحة، وأجناس التجنيس، وبدائع البديع، ومحاسن الحكم والأمثال، فإذا علم ذلك في هذا الكتاب العزيز، ورأى ما أودعه الله سبحانه فيه من البلاغة والفصاحة وفنون البيان = فقد أوتي فيه العجب العجاب"[39].

---

37 القِمَطر: خزانة الكتب.

38 فقه اللغة وسر العربية للثعالبي: 15، بتصرف. ومقدمته نفيسة ماتعة.

39 الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان: 7. وكشف د. زكريا سعيد علي زيف نسبة الكتاب إلى ابن القيم – وهذا الكتاب غير كتاب الفوائد الثابت نسبته إليه –، وأثبت صحة نسبته لابن النقيب، في مقال له بعنوان: مقدمة تفسير ابن النقيب والمطبوع خطأً بعنوان "الفوائد المشوق").

5) علاقتهما بباقي العلوم الشرعية:

يجد المطالع في العلوم الشرعية اهتمامًا بالغًا بالمسائل اللغوية، ويلحظ أن الأساس اللغوي كان موجها لمسائل كثيرة، وذلك لارتباط هذه المسائل بتحليل النصوص الشرعية ومعرفة وجوه دلالاتها.

وتظهر هذه العلاقة بين النحو والصرف، وعلوم الشريعة، وفي مقدمتها الفقه والعقيدة في كتاب: "الكواكب الدرية في تنزيل الفروع الفقهية على القواعد النحوية"، لجمال الدين الإسنوي الشافعي، وكذلك كتاب: "إعراب مشكل القرآن"، لابن قتيبة، ويظهر ذلك أيضا في منهج الطوفي في تخريج الفروع الفقهية على الأصول اللغوية من كتابه: "الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية"، وكذلك في كتاب: "زينة العرائس من الطرف والنفائس"، لابن المَبرَد الحنبلي.

طريقة دراسة النحو:

اعتاد العلماء تقسيم طريق الطلب إلى ثلاث مراحل، لكن لا مانع من تقسيمها إلى أكثر من ذلك أو أقل، فالعبرة بالتدرج ومراعاة ما يصلح للطالب، والمقصود بهذه المراحل (المراحل التأسيسية)، أي: التي يكون صاحبها بعد الانتهاء منها عارفا بأصول هذا العلم ومسائله إجمالا، وليس المقصود بذلك أنه سيكون متخصصا في هذا الفن، أو أنه لن يحتاج إلى التوسع فيه بعد ذلك، بل الواقع أنه سيكون أقرب إلى المبتدئ منه إلى المنتهي في هذا الفن.

<u>المنطَلَق (المرحلة الأولى)</u>

المبتدئ في النحو له صورتان:

الأولى: صورة الأعجمي المنتسب إلى موطن لا مكان للعربية فيه، ثم هو يريد الدخول في زمرة المتعربين. وتلتحق بهذه الصورة صورة العربي الذي نشأ على العامية أو إحدى اللغات الأعجمية، حتى استعجم لسانه، فهو عربي نسبا أعجمي حكما. فهذا من النافع له أن يدرس أحد كتب القواعد المدرسية، ليتأهل إلى ما يساوي أصحاب الحالة الثانية، ومن أنفع الكتب المدرسية في هذا الباب: كتاب "النحو الواضح" لمؤلفيه: علي الجارم ومصطفى أمين.

والثانية: صورة الطالب المبتدئ الذي لا يعسر عليه أن يتحدث العربية أو يفهم من يتحدث بها، ولكنه يحتاج إلى معرفة قواعد النحو والصرف التي قد يكون درسها من قبل ثم أُنسيَها. فإن كان من أهل الحافظة الجيدة فليحفظ متنا مثل الآجرومية، أو نظما له. وإلا فليقتصر على فهم المعاني، دون أن يتعنى باستحضار ألفاظه. والمقترح أن يدرسه الطالب بشرح الشيخ محيي الدين عبد الحميد "التحفة السنية شرح المقدمة الآجرومية".

على الطريق (المرحلة الثانية)

مدار هذه المرتبة على كتابين اثنين، يكمل أحدهما الآخر، الأول هو: "شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب"؛ والثاني هو: "قطر الندى وبلّ الصدى". كلاهما لابن هشام الأنصاري وحققهما محيي الدين عبد الحميد. فليعمد الطالب إلى الكتابين، وليلخص مقاصدهما في كراسة واحدة، وليعتن أشد الاعتناء بتحرير المسائل النحوية المشكِلة من كلام صاحب الحاشية. وليقرأ شرحه على الشواهد مع إعرابها قراءة تدبر وتمحيص، ثم ليعد الإعراب من حفظه وليقارن ذلك بما في كلام الشيخ رحمه الله.

نصائح وتنبيهات:

1- يحسُن بالطالب في المرحلة الأولى أن يتخذ متنًا واحدًا يكون أصلًا له في العلم يقرأه ويتفهمه ويتدبره بنظره، ويكرر ما فيه حتى يتضح له، ويربط بين أوله وآخره حتى لا يكون فيه تناقضات ولا إشكالات. والمقترح هو الآجرومية. ثم إن أراد الاطلاع على المتون الأخرى وينتقي منها الفوائد فسوف ينتفع انتفاعًا كبيرًا.

2- ينبغي أن يعلم الطالب أن مسألة الاختيار في المتون أمرها واسع، ما دام ملتزما بالضوابط الصحيحة والمنهج السليم في طريق الطلب.

3- إذا كان للطالب شيخ يقوم على تعليمه، فلن يكون بحاجة إلى الاختيار؛ إذ يستطيع الاكتفاء بما يقوله شيخه، حتى وإن كان مفضولا؛ لأنه إذا وجد من يتابعه ويشرف عليه في الطريقة المفضولة؛ فهذا أفضل من أن يسير وحده في طريق آخر لا يجد من يحل له إشكالاته.

4- ينبغي لطالب العلم أن يكون له اختيار فيما بعد مرحلة المبتدئين؛ لأن من المفترض أن يكون حينئذ على درجة من المعرفة بهذا العلم تمكنه من اختيار ما يناسبه، والتجربة أثبتت أن الطالب إذا درس المتن الذي يحبه فسوف يستفيد أكثر من استفادته إذا درس متنا لا يميل إليه، حتى وإن كان الأول مفضولا. والناس يتفاوتون في مداركهم ومشاربهم وطبائعهم؛ لذلك ينبغي أن يختار الطالب ما يناسبه؛ فإن كان يحب النثر؛ فلا يجبر نفسه على النظم، وإن كان يميل إلى النظم، فلا يلزمه أن يدرس النثر، وهكذا.

5- طالب العلم ينبغي أن يتوسط؛ فلا يكون اختياره لأحد المتون هجرًا للباقي هجرانًا تامًا، وكذلك لا يضيع عمره في استقصاء المتون؛ لأنها لا حصر لها.

6- الفائدة التي يجنيها طالب العلم من النظر في متون وكتب مختلفة بجانب المتن الذي يدرسه أن المعلومات عنده تصير أكثر هضمًا وأعمق فهمًا؛ لأن حدود الألفاظ كثيرًا ما تعطي

ظلالًا من المعاني المبهمة، أو التي تحتمل أوجها متعددة من الفهم، ويزول هذا الأمر إذا اطلع الطالب على المعلومة في كلام أهل العلم بأساليبهم المتنوعة، ويستخلص خلاصة الفهم الصحيح من بين ذلك.

7- في المرحلة الثالثة إذا ركز على أحد المتون المطولة المعتمدة – الألفية مثلا – ودرسه دراسة جادة وأتقنه إتقانا تاما، فسوف يجد الاطلاع على باقي المتون والكتب مثل النزهة! لأنه سيجد أكثر المعلومات معروفة عنده، فيستطيع تحصيل الزوائد واستخلاصها بسهولة، ويستطيع كذلك أن يعرف مراتب المعلومات ودرجاتها، ويسهل عليه أن يحفظ الأقوال والاختلافات والآراء، إلى غير ذلك من الفوائد التي يجنيها. وهذه المرحلة الثالثة هي لأهل التمكن والرسوخ، ولا يلزم كل راغب في تكوين ملكته اللغوية أن يطرقها بتفصيلاتها، ولكنه لا يستغني عن معرفة خطوطها العريضة.

8- العبرة في طلب العلم ليست باختيار كتاب معين، أو تسلسل معين من الكتب، وإنما العبرة بالمنهجية التي يسلكها الطالب في أثناء الطلب، وهذه المنهجية معناها: (الضوابط العامة التي يجب أن يلتزم بها)؛ مثل: الحفظ، التفهم، التدرج، الترسيخ، التطبيق، الربط بباقي العلوم، الاستشهاد، التعبير بأسلوبك.

وإليك توضيحها باختصار:

الحفظ: أي تكرار المتن الذي تدرسه حتى يكون محفوظا لديك في ذهنك تستطيع ذكره عن ظهر قلب، وهذا الحفظ ليس هو أهم شيء في طلب العلم، لكنه يفيدك عند كبر السن؛ لأنه يقلل من ضياع المعلومات وفقدانها.

وليركز في دراسته وحفظه على:

1) التعريفات ومعرفة محترزات القيود.

2) التقاسيم والأنواع.

3) القواعد المطردة والضوابط: خصوصا التي توجد في غير مظانها.

4) الشاهد الشعري، فيحفظه أولا ثم يعرف موضع الشاهد ووجه الاستشهاد.

وما سوى ذلك يكفي فهمه فهما عاما ولا يطلب حفظه.

التفهم: أي أن يكون الحفظ مقرونا بالفهم الصحيح للكلام، ولا يلزم أن يكون فهما موسعا مبنيا على الشروح المطولة، بل يكفي أن يكون فهما إجماليا للمعنى العام مبدئيا، ثم بعد ذلك يتوسع في الشروح.

التدرج: معناه أن تحصل المسائل السهلة الواضحة أولا ولا تدخل في الأبواب والمسائل المعقدة إلا بعد إتقان ما يسبقها؛ لأن العلم كالبناء لا بد من إعداد الطابق الأول ثم الثاني ثم الثالث وهكذا، ولا يمكن بناء الطابق الرابع مثلا قبل الأول.

الترسيخ: معناه دفع الشبهات والإشكالات المتعلقة بالمسائل العلمية حتى تصير ثابتة في صدرك لا تزحزحها الجبال.

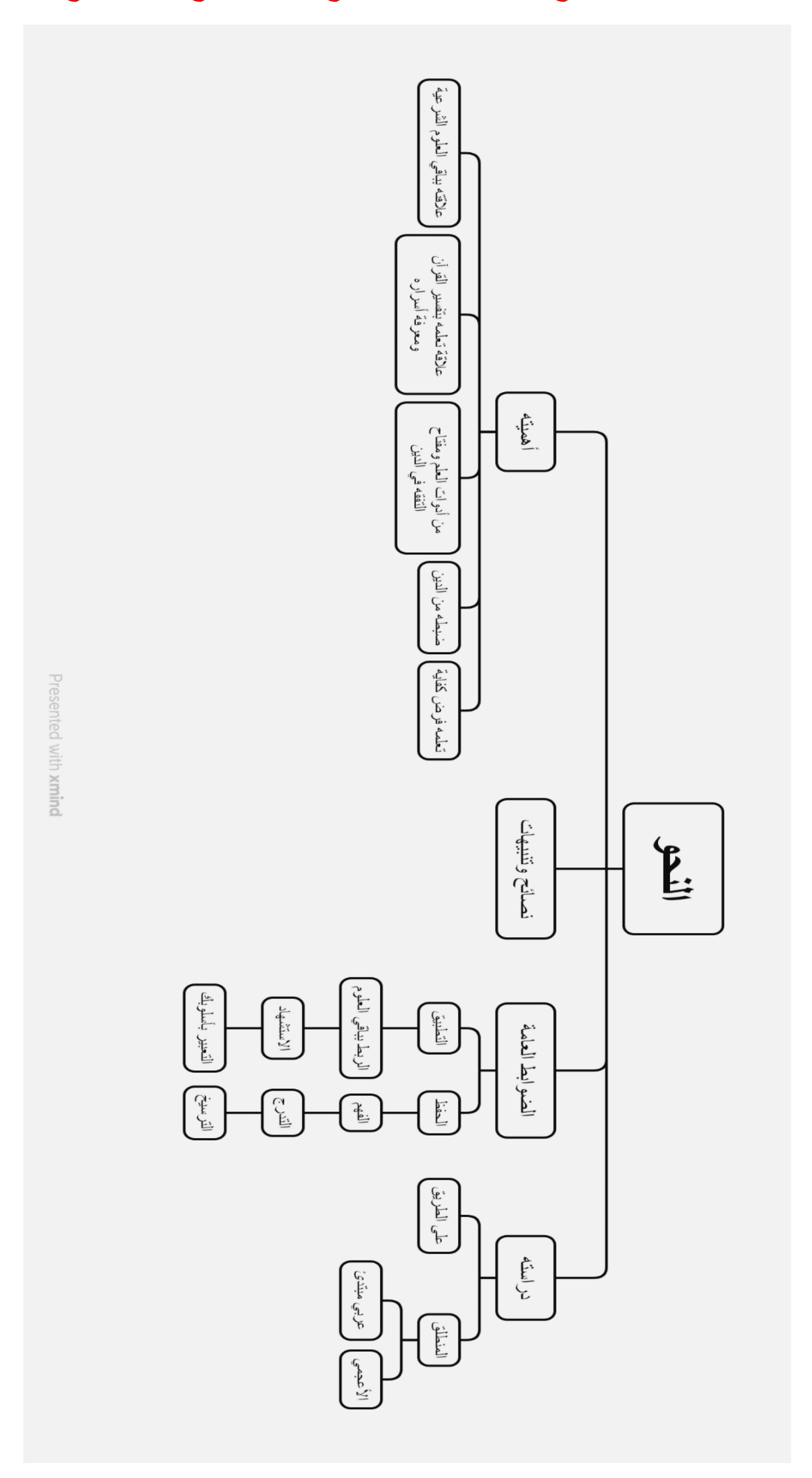
التطبيق: معناه أن كل قاعدة تعرفها؛ فلا بد من تطبيقها على الأمثلة، ويستحسن أن تكون هذه الأمثلة من الكتاب والسنة ومن العبارات المستعملة بين العلماء.

الربط بباقي العلوم: معناه أن تربط ما تدرسه في النحو – مثلا – بما تدرسه في الفقه، لأن المقصود من العلم هو استعماله، فلو فصلنا بين العلوم لن تكون لها فائدة؛ فالنحو – مثلا – لا يراد

لذاته، وإنما يراد لفهم الكتاب والسنة، فإذا لم أستطع ربطه بالآيات والأحاديث؛ فكيف أستعمله في فهم الكتاب والسنة؟

الاستشهاد: هذا وسيلة من وسائل تثبيت العلم، فمثلا إذا كنت تقرأ في كتاب وجاءت قاعدة نحوية، فاكتب في الحاشية – مثلا – البيت الذي يتعلق بهذه القاعدة من ألفية ابن مالك، والمقصود بذلك تثبيت العلم بكثرة الاستشهاد.

التعبير بأسلوبك: معناه أنك إذا قرأت شيئا أو حفظت قاعدة أو درست أصلا أو غير ذلك، فحاول أن تشرحه بأسلوبك أنت، وحاول أن تعبر عنه بكلامك أنت من غير رجوع إلى المصادر، وبعد أن تفعل ذلك اعرض ما كتبته على العلماء أو على الكتب، وانظر: هل يوجد خلل؟ هل يوجد نقص؟ هل هناك ما أخطأت فيه؟ هل هناك ما نسيته؟ هل هناك ما يحتاج إلى تعبير أدق؟ كل ذلك يفيدك فوائد عظيمة جدا؛ لأنه يعالج جوانب القصور إن وجدت في طلبك للعلم.


النحو
دراسته
المنطلق
الأعجمي
عربي مبتدئ
على الطريق
الضوابط العامة
الحفظ
الفهم
التدرج
الترسيخ
التطبيق
الربط بباقي العلوم
الاستشهاد
التعبير بأسلوبك
نصائح وتنبيهات
أهميته
تعلمه فرض كفاية
ضبطه من الدين
من أدوات العلم ومفتاح التفقه في الدين
علاقة تعلمه بتفسير القرآن ومعرفة أسراره
علاقته بباقي العلوم الشرعية
Presented with xmind

طريقة دراسة الصرف:

كثيرًا ما يسأل الطلبة: هل أدرس النحو أولًا أم الصرف؟

مقتضى النظر العقلي هو تقديم الصرف على النحو؛ لأن الصرف يبحث في الجزء، والنحو يبحث في الكل، ومعرفة الجزء مقدمة على معرفة الكل عند العقلاء والمناطقة، لكن مع ذلك جرى العمل على تقديم النحو على الصرف في الجملة وذلك لسهولة النحو إذا ما قورن بالصرف، ولدقة مسالك ومباحث الصرف.

وإذا تأملنا أكثر: وجدنا أن الأعاجم يشتغلون أولا بالصرف، ثم بالنحو، والعرب بالعكس، وذلك لشدة حاجة الأعجمي إلى المفردات.

وليقرأ طالب الملكة في هذه المرحلة – بعد المرحلة الثانية في النحو –كتاب "شذا العرف في فن الصرف" للشيخ أحمد الحملاوي بِتَمَعُّن، وليلخص أهم مقاصده في كراسة صغيرة[40].

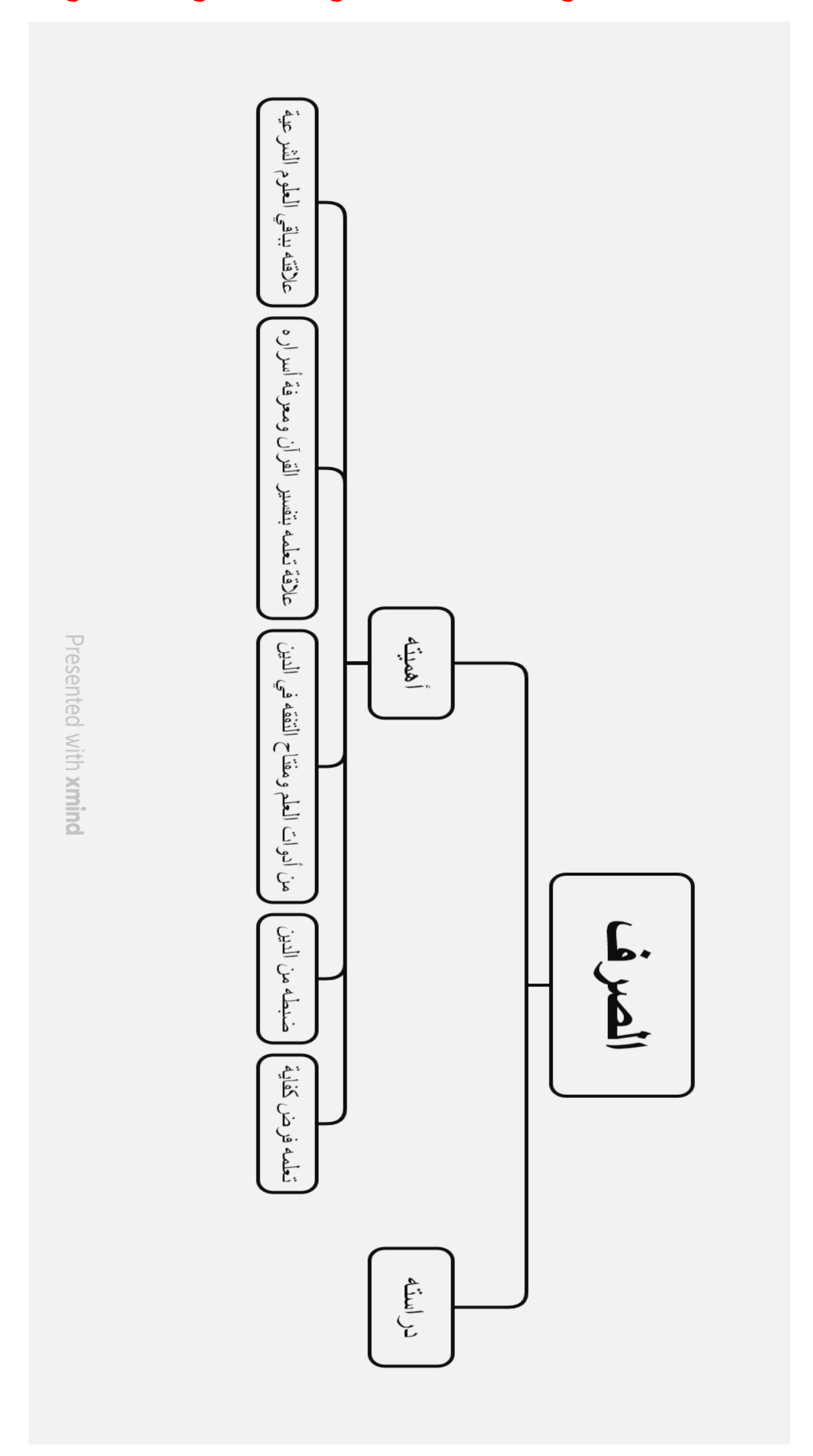
المرحلة العملية:

علم الصرف أساسا علم نظري له قواعد، وتحت هذه القواعد تندرج جزئيات كثيرة، التي نسميها نحن بتطبيقات القاعدة، وما لم يُعمل الطالب القواعد التي درسها ويباشرها بنفسه ويتذوق فيها حلاوة العمل الصرفي = فإن دراسته ستكون كلا شيء.

40 يرى الشيخ سالم القحطاني أن العربي لا يشتغل بالصرف أبدا إلا بعد فراغه من النحو تماما، وذلك بأن يكون قد فرغ من ألفية ابن مالك حفظا ودراسة، وبدراسته للألفية يكون قد أخذ قدرا نافعا عظيما في الصرف؛ إذ إن مباحث الصرف في الألفية استغرقت قرابة ثلاثمائة بيت، خصوصا ما يتعلق بتصريف الأسماء، وأما تصريف الأفعال فقد أفرد الناظم الكلام عليه في تصنيف مستقل.
والأمر في ذلك يسير –كما قال ابن جزي –: "وكل أحدٍ سلك طريقًا نحاه، وذهب مذهبًا ارتضاه، وكلًّا وعد الله الحسنى".

فليقرأ كتاب: "التطبيق الصرفي" لعبده الراجحي، ويعتني بالإجابة على التمرينات جميعها. وليحرص أشد الحرص على أبواب تصريف الأفعال المسندة إلى الضمائر.

ومجالات التطبيق واسعة في الصرف، فيستطيع من خلال شروح المعلقات مثلا أن يتمرن على كثير من المسائل الصرفية، وسيجد في المعلقات الكثير من الشواهد والمسائل التي تعد جزئيات وتطبيقات للقواعد النظرية التي درسها، وهناك رسالة مختصرة لعلي بن محمد البكري من علماء اليمن اسمها "إعراب أذكار الصلوات المكتوبة وكشف أسرارها المحجوبة" يتكلم عن الفاتحة والأذكار من الجانب اللغوي والصرفي والنحوي، بأسلوب واضح وسهل، وهي رسالة نافعة جدا للمبتدئ في مجال التطبيق.


الصرف
أهميته
علاقته بباقي العلوم الشرعية
علاقة تعلمه بتفسير القرآن ومعرفة أسراره
من أدوات العلم ومفتاح التفقه في الدين
ضبطه من الدين
تعلمه فرض كفاية
دراسته
Presented with xmind

المبحث الثاني: في البلاغة

هذا علم قرآني في أصله، فإنه نشأ – في الأصل – دفاعا عن القرآن، ووصفا لأوجه إعجازه. ثم تطور إلى سائر الكلام العربي.

وذكروا أن أول من تكلم في علم البيان هو: أبو عبيدة معمر بن المثنى صاحب كتاب "مجاز القرآن".

وعلم البلاغة يعتني بتركيب الكلام على أحسن الوجوه وأفصحها، ولا يكون ذلك إلا بعد أن يكون الكلام سالما من مخالفة قواعد النحو، ومفرداته سالمة من مخالفة قواعد التصريف.

ويقول ابن الأثير:

"مدار البلاغة كلها على استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم؛ لأنه لا انتفاع بإيراد الأفكار المليحة الرائقة ولا المعاني اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مستجلبة لبلوغ غرض المخاطب بها"[41].

وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام أو ثلاثة علوم:

الأول: علم البيان، وهو أصول وقواعد يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة العقلية على نفس ذلك المعنى، فالمعنى الواحد يُستطاع أداؤه بأساليب مختلفة.

وموضوع هذا العلم: الألفاظ العربية، فتدخل فيه مباحث: التشبيه والمجاز والاستعارة والكناية وما التحق بها.

---

41 المثل السائر، ابن الأثر: 64/2.

وثمرته: الوقوف على أسرار كلام العرب ومعرفة ما فيه من تفاوت في فنون الفصاحة، وتباين في درجات البلاغة التي يصل بها إلى مرتبة إعجاز القرآن الكريم، الذي حار الجن والإنس في محاكاته وعجزوا عن الإتيان بمثله.

والثاني: علم المعاني، ويراد به: إيراد المعنى بالصورة الموافقة لمقتضى حال المخاطبين. ويشتمل على مباحث الخبر والإنشاء والإسناد والحصر والإيجاز والإطناب وما أشبه ذلك.

وفائدته: معرفة إعجاز القرآن، من جهة ما خصه الله به من جودة السبك، وحسن الوصف، وبراعة التراكيب، ولطف الإيجاز، وما اشتمل عليه من سهولة التراكيب، وجزالة كلماته، وعذوبة ألفاظه وسلامتها، إلى غير ذلك من محاسنه التي أقعدت العرب عن مناهضته، وحارت عقولهم أمام فصاحته وبلاغته. وكذلك معرفة أسرار كلام النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ليصار للعمل بها ولاقتفاء أثره في ذلك.

والوقوف على أسرار البلاغة والفصاحة في منثور كلام العرب ومنظومه كي تحتذي حذوه، وتنسج على منواله، وتفرق بين جيد الكلام ورديئه.

والثالث: علم البديع، وهو علم يعرف به طرق تحسين الكلام، باستعمال المحسنات اللفظية والمعنوية.

وأثره في الكلام لا يتعدى تزيين الألفاظ أو المعاني بألوان من الجمال اللفظي أو المعنوي.

والأولان أولى بالعناية من الثالث، لأن الفصاحة مقدمة على التزيين والتحسين.

كيف الوصول إلى البلاغة؟

- البلاغة في هذا السؤال معناها حسن البيان، وليس علم البلاغة بمفهومه كصناعة، والطريق إلى هذا هو القراءة في أساليب البلغاء والنظر في بيانهم؛ لأنه يحتاج إلى مثال يحتذى به وإلى نماذج يقلدها، ويقدم ذلك على التمرين، وأبلغ أسلوب هو القرآن الكريم، ثلم يليه سنة النبي صلى الله عليه وسلم ثم كلام الشعراء والأدباء، فهذه الأساليب تنشط القارئ وتدرب لسانه وتكسب لغته ثراء.
- ثم بالتمرين والتدريب على أساليب البيان والبلاغة فهو السبيل الذي لا بُدّ أن يسلكه السائل عن البلاغة، وسيأتي تفصيل لهذا عند الكلام عن الأدب.

تنبيه:

ينبغي على الطالب أن يحذر من الغوص في كتابات المتأخرين في علم البلاغة، دون زاد من كتابات المتقدمين. لعدة أسباب:

المؤثر الكلامي

والمقصود تأثير "علم الكلام" بما يحمله من المخالفات العقدية. فهو علم "ملغوم"، تكتنف الناظر فيه مزالق عقدية خطيرة، لا يتنبه لها إلا حاذق في معرفة عقيدة أهل السنة. ويظهر هذا خصوصا في مباحث الحقيقة والمجاز والاستعارات وبعض مسائل الإسناد.

الزخرفة اللفظية

ويتجلى في إكثار المتأخرين من المباحث اللفظية، خاصة في علم البديع.

ومن أمثلة المباحث العجيبة في هذا الفن: القلب أو العكس اللفظية، وهو أن يقرأ الكلام من آخره إلى أوله كما يقرأ من أوله إلى آخره.

والتزام هذه المحسنات أو تكلفها ولو في المرة بعد المرة، بعيد عن طرائق العرب الأقحاح في التعبير الفصيح. وإنما يحمد منها ما جاء عرضا دون اعتساف.

الفقر في التمثيل

يتداول المؤلفون في علم البلاغة أمثلة وشواهد، وضعها الأولون وقلدهم فيها من بعدهم، بدلا من اعتماد الشواهد الأدبية الرفيعة من الأدب الراقي قديما أو حديثا. وقد سلم كثير من المعاصرين من هذا.

كثافة المصطلحات

تفنن المتأخرون في اختراع مصطلحات جديدة للمعاني البلاغية المحدَثة.

وحاز السبق في هذا الباب: علم البديع، فقد اشتد التنافس في اختراع أنواع جديدة منه، وصار ذلك علامة على المهارة اللغوية.

وكثرت عند المتأخرين: البديعيات، وهي قصائد في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم، يحتوي كل بيت منها على فن من فنون البديع.

ولأجل كثرة هذه الألفاظ، احتاج الناس إلى وضع معجمات مختصة بالمصطلحات البلاغية.

وعلى الطالب أن يأخذ من هذه المصطلحات التي زادها المتأخرون ما يجعله قادرا على التعبير عن المعاني المتداولة بكلمات محصورة مع القدرة على فهم كتابات العلماء المتأخرين دون كبير عناء.

طريقة دراسة البلاغة:

البدء

من أفضل ما يبدأ الطالب بدراسته، كتاب: "البلاغة الواضحة" لمؤلفيه: علي الجارم وأحمد أمين.

وليحرص على حل التمرينات المقترحة، ومقارنة أجوبته بما في كتاب "دليل البلاغة الواضحة"، الذي وضع فيه المؤلفان حلول التمرينات.

ثم كتاب "جواهر البلاغة" للسيد الهاشمي، يقرأه قراءة تمعن مع تلخيص مقاصده الكبرى.

وليختم هذه المرحلة بكتاب "البلاغة تطور وتاريخ" لشوقي ضيف.

التوسط

يعتني في هذه المرحلة بحفظ نظم "الجوهر المكنون" للأخضري، ويدرس شرحه: "حلية اللب المصون". وليستعن في الفهم والتوسع بدروس د. البشير المراكشي في شرح هذا النظم.

ثم يقرأ كتاب "المنهاج الواضح في البلاغة" لحامد عوني، وهو نفيس جدا.

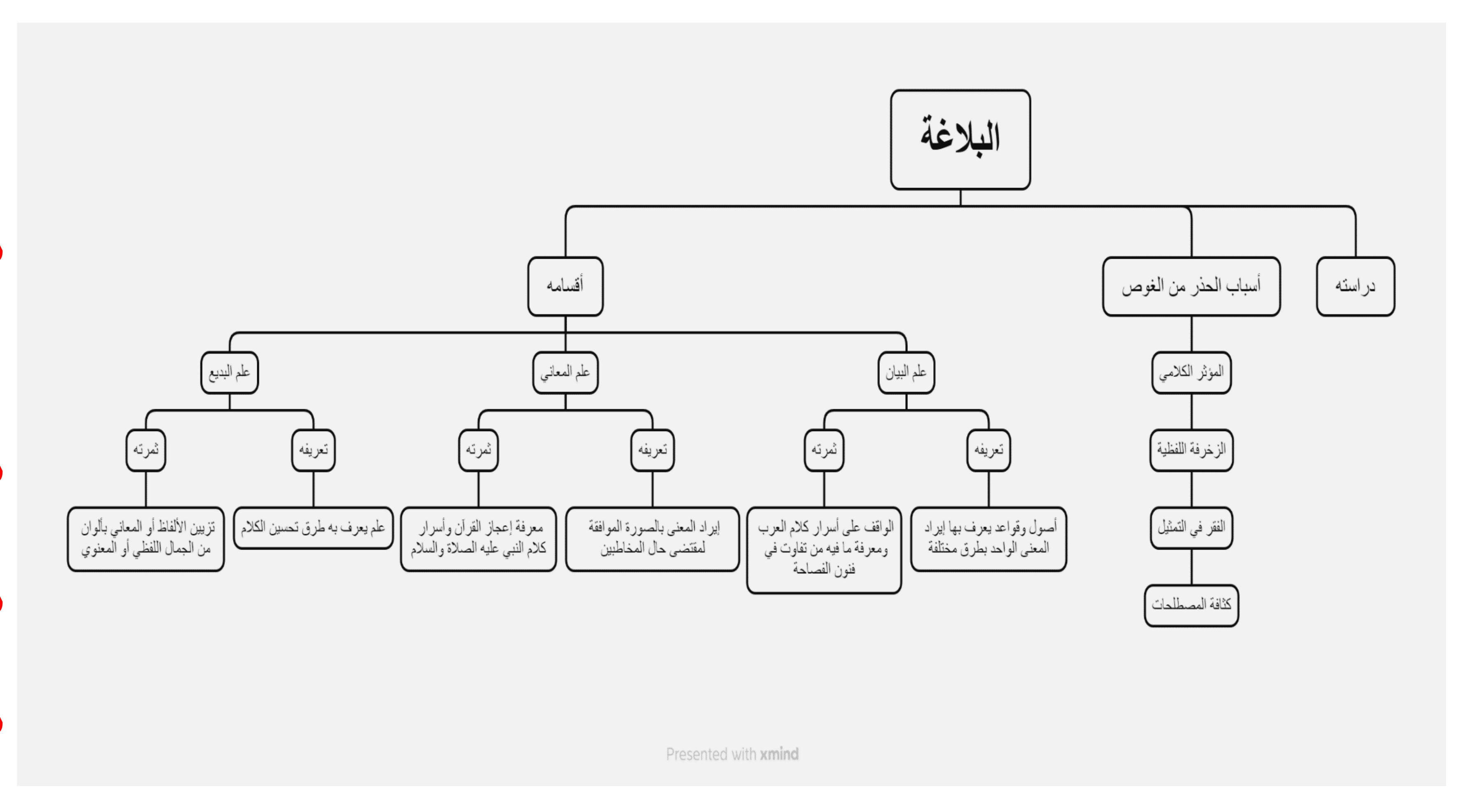
وتكميل هذه المرحلة بقراءة الكتابين اللذين يعدان أساس هذا العلم، وهما: "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" لعبد القاهر الجرجاني.

واكتساب الملكة اللغوية في مجال البلاغة، إنما يكون بالقراءة الكثيفة في كتب الأدب عموما، وفي كتب مخصوصة اعتنى أصحابها بالمعاني، مثل: "ديوان المعاني" لأبي هلال العسكري، و"الوساطة بين المتنبي وخصومه" للقاضي الجرجاني، و"الموازنة بين أبي تمام والبحتري" للآمدي، ونحوها.

ومن النافع: أن يتدبر ما في القرآن من البلاغة التي لا يدركها بشر. وليستعن في ذلك بالنظر في كتب التفسير التي اعتنت بهذا.

ثم ليقرأ بعض الكتب المكملة، مثل: "المثل السائر" لابن الأثير، "إعجاز القرآن" للباقلاني، "العمدة في صناعة الشعر ونقده" لابن رشيق القيرواني.

وسيأتي في الزاد الأدبي ذكر بعض الكتب النافعة في تحصيل البلاغة التطبيقية.


البلاغة
دراسته
أسباب الحذر من الغوص
المؤثر الكلامي
الزخرفة اللفظية
الفقر في التمثيل
كثافة المصطلحات
أقسامه
علم البيان
تعريفه
أصول وقواعد يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة
ثمرته
الواقف على أسرار كلام العرب ومعرفة ما فيه من تفاوت في فنون الفصاحة
علم المعاني
تعريفه
إيراد المعنى بالصورة الموافقة لمقتضى حال المخاطبين
ثمرته
معرفة إعجاز القرآن وأسرار كلام النبي عليه الصلاة والسلام
علم البديع
تعريفه
علم يعرف به طرق تحسين الكلام
ثمرته
تزيين الألفاظ أو المعاني بألوان من الجمال اللفظي أو المعنوي
Presented with xmind

المبحث الثالث: في العروض

الشعر ديوان العرب الخالد، والثقافة العربية تجعل الشعر في مرتبة التصدر بين مناحي الأدب جميعها. ولذلك فإن تكوين الملكة اللغوية ينبني – ولا بد – على إتقان صنعة الشعر، واكتساب ملكة تذوقه، والتمكن من نقده.

والشعر الفصيح إنما يمتاز عن النثر الفني بالأوزان، التي يعتني علم العروض بضبطها.

طريقة دراسة العروض:

المرحلة الأولى:

قراءة كتاب "ميزان الذهب في صناعة شعر العرب" للسيد الهاشمي، قراءة درس وتحقيق، مع الحرص على إنجاز التمرينات، وتقطيع الأبيات تقطيعا كاملا.

ويصنع الشيء نفسه مع كتاب "شرح كتاب أهدى سبيل إلى علمي الخليل" لمحمود مصطفى. ثم يطالع كتاب "شفاء الغليل في علم الخليل" لمحمد بن علي المحلي. وهو كتاب تعليمي نافع جدًا.

المرحلة الثانية:

يحفظ منظومة "مجدد العوافي من رسمي العروض والقوافي" لمحمد بن عبد الله العلوي الشنقيطي. وهو يغني عن بقية المتون المتداولة، لكن يعيبه قلة شروحه. ولذلك يمكن الاكتفاء في حل ألفاظه: بطرة الناظم، مع دروس د. البشير المراكشي في شرحه.

المبحث الرابع: في الإملاء

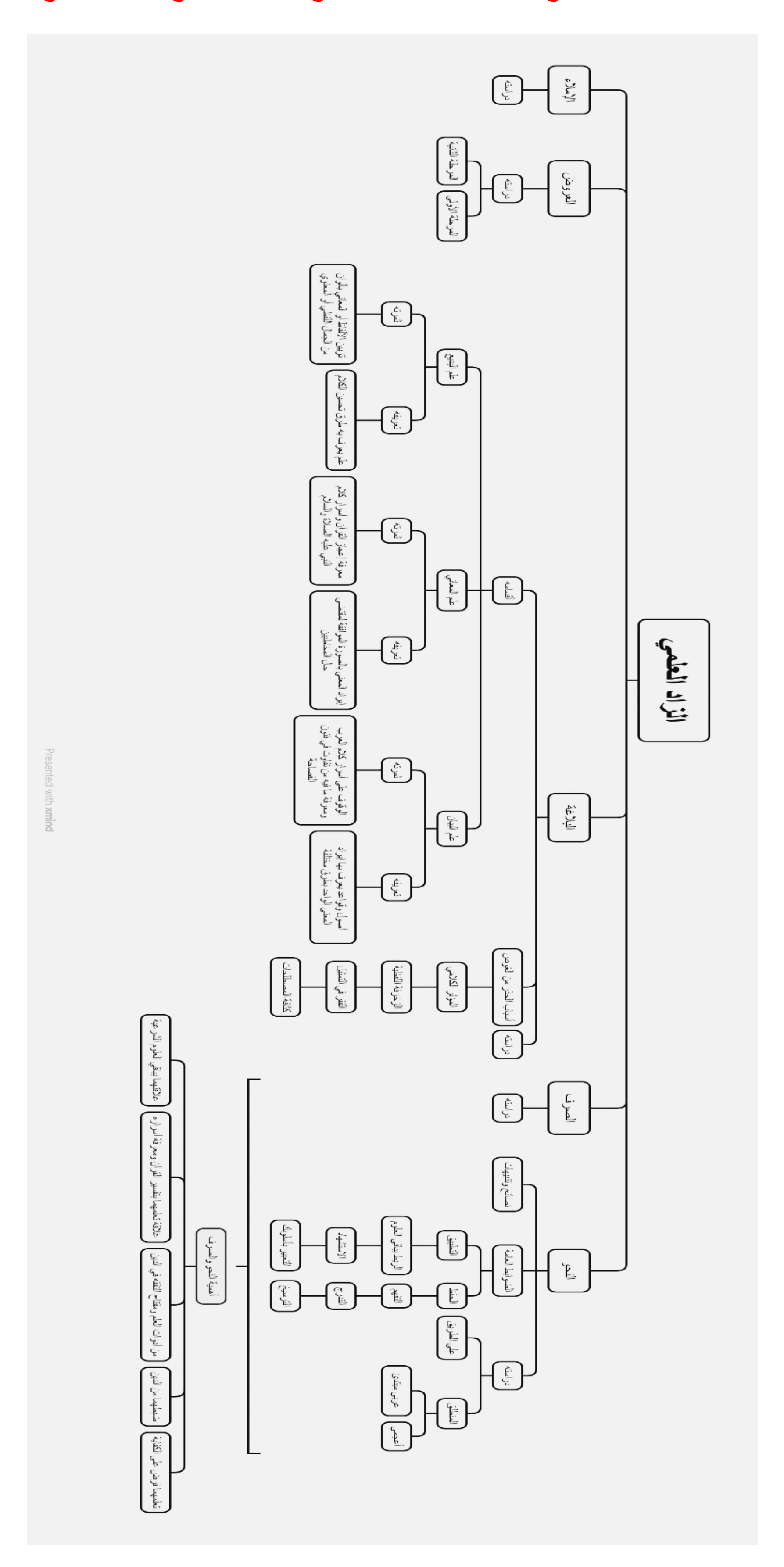
ليس هذا علما قائما، وإنما هو مجموعة قواعد تعين على الكتابة الصحيحة للكلمات العربية.

وأما منهج تعلمها، فينبغي التنبيه على أن في كتب النحو والصرف، أبوابا مخصوصة لقواعد الخط. فمن درس ذينك العلمين لم يحتج إلى مراجعة هذا المبحث.

ولكن قد يحتاج الطالب إلى معرفة هذه القواعد قبل الغوص في تفصيلات النحو والصرف.

والمقترح كتاب: "قواعد الإملاء" لعبد السلام هارون. فإنه يغني عن كثير من الكتب في هذا الباب.

ولا يحتاج أن يحفظ فيه متنا، ولا أن يكثر من القراءة النظرية في كتبه، وإنما العمدة في إتقانه على الممارسة العملية، وعدم الترخص بالكتابة كيفما اتفق!



الزاد العلمي
النحو
دراسته
المنطلق
أعجمي
عربي مبتدئ
على الطريق
الضوابط العامة
الحفظ
التفهم
التدرج
الترسيخ
التطبيق
الربط بباقي العلوم
الاستشهاد
التعبير بأسلوبك
نصائح وتنبيهات
أهمية النحو والصرف
تعلمهما فرض على الكفاية
ضبطهما من الدين
من أدوات العلم ومفتاح التفقه في الدين
علاقة تعلمهما بتفسير القرآن ومعرفة أسراره
علاقتهما بباقي العلوم الشرعية
الصرف
دراسته
البلاغة
دراسته
أسباب الحذر من الغوص
المؤثر الكلامي
الزخرفة اللفظية
الفقر في التمثيل
كثافة المصطلحات
أقسامه
علم البيان
تعريفه
أصول وقواعد يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة
ثمرته
الوقوف على أسرار كلام العرب ومعرفة ما فيه من تفاوت في فنون الفصاحة
علم المعاني
تعريفه
إيراد المعنى بالصورة الموافقة لمقتضى حال المخاطبين
ثمرته
معرفة إعجاز القرآن وأسرار كلام النبي عليه الصلاة والسلام
علم البديع
تعريفه
علم يعرف به طرق تحسين الكلام
ثمرته
تزيين الألفاظ أو المعاني بألوان من الجمال اللفظي أو المعنوي
العروض
دراسته
المرحلة الأولى
المرحلة الثانية
الإملاء
دراسته
Presented with xmind

الفصل الثاني

الزاد اللغوي

الزاد اللغوي يأتي بعملية تراكم مستمرة، دون أن يكون لها حد معين. وليس المقصود منه الإحاطة باللغة فإن ذلك ممتنع، وإنما المقصود تحصيل طرف صالح، يرفع عن الطالب صفة الجهل بلسان العرب الأول، ويحلّيه بالقدرة على إدراك الكلام الفصيح وحسن الاستنباط منه عند الحاجة، والسلامة من الخلل والقصور في فهمه.

وليعلم أن هذا جهد لا بد منه، لتنقية القلب من العجمة، فإن كثرة مخالطة أهل العصر، المتردّين في مهاوي الجهل بالفصحى، والمتفرقة قلوبهم أيدي سبإ بين اللغات واللهجات، يفسد اللسان أيما إفساد حتى يحتاج صاحبه إلى الاغتسال اللغوي – بِدَلكٍ وفركٍ – لإزالة آثار العجمة.

وتأمل قول الجاحظ – وهو نفيس فلذلك نقلته كاملا –:

"اعلموا أن المعنى الحقير الفاسد، والدني الساقط، يعشش في القلب ثم يبيض ثم يفرخ، فإذا ضرب بجرانه ومكن لعروقه، استفحل الفساد وبزل، وتمكن الجهل وفرخ. فعند ذلك يقوى داؤه، ويمتنع دواؤه؛ لأن اللفظ الهجين الردي، والمُستكرَه الغبي، أعلق باللسان، وآلف للسمع، وأشد التحاما بالقلب من اللفظ النبيه الشريف، والمعنى الرفيع الكريم. ولو جالست الجهال والنوكى، والسخفاء والحمقى شهرا فقط، لم تنق من أوضار كلامهم، وخبال معانيهم، بمجالسة أهل البيان والعقل دهرا؛ لأن الفساد أسرع إلى الناس، وأشد التحاما بالطبائع. والإنسان بالتعلم والتكلف، وبطول الاختلاف

إلى العلماء، ومدارسة كتب الحكماء، يجود لفظه ويحسن أدبه، وهو لا يحتاج في الجهل إلى أكثر من ترك التعلم، وفي فساد البيان إلى أكثر من ترك التخير"[42].

واعلم أن طرق تحصيل الزاد اللغوي ثلاثة:

- من كتب متن اللغة،
- ومن نصوص الشريعة،
- ومن كتب الأدب.

وهذه الطرق هي ما سأبينه – إن شاء الله – في المباحث الثلاثة الآتية.

42 البيان والتبيين: 1/85-86

المبحث الأول: اللغة

والكلام في هذا المبحث يشمل ثلاثة مطالب:

أولها: تمهيد للدراسات اللغوية، يساعد الطالب على معرفة أصول علم اللغة وفقه اللغة

والثاني: بيان المتون والكتب التي تزود الطالب بثروة من المفردات والتراكيب اللغوية

والثالث: معرفة معاجم اللغة التي تُقرأ ويرجع إليها عند الحاجة، وتعين على فهم النصوص القديمة

- **المطلب الأول: تمهيد في علم اللغة وفقهها**

يبدأ فيه بقراءة كتاب "دراسات في فقه اللغة" لصبحي الصالح. ويكمل فوائده بمطالعة كتابي: "علم اللغة" و"فقه اللغة" كلاهما لعلي عبد الواحد وافي، وبكتاب "فصول في فقه العربية" لرمضان عبد التواب.

وينهي الطالب هذا المنحنى العلمي النافع بكتاب "المزهر في علوم اللغة" للسيوطي، فقد جمع فيه زبدة مباحث هذا الفن على ترتيب حسن وأسلوب سلس.

ويمكن تكميل هذا المطلب بمبحثين صغيرين:

أولهما: علم الاشتقاق، وهو علم ذو تعلق بما نحن بصدده هنا، كما أن له تعلقا بعلم الصرف. ويكفي فيه كتاب: "الاشتقاق" لعبد الله أمين.

والثاني: معرفة الأخطاء الشائعة على الألسنة، ويكفي فيه كتابان عصريان، هما: "معجم الأخطاء الشائعة" لمحمد العدناني، وكتاب "قل ولا تقل" لمصطفى جواد.

والطالب الفطن يكفيه ما حصله في دراسته النحوية والصرفية واللغوية، وفي ممارسته لكلام الفصحاء، ليستطيع التمييز بين ما هو صحيح لا غبار عليه، وما هو خطأ قبيح لا يرتاب فيه، وما هو خلافي يحتمل هذا وذاك، فيجتنب في عالي الكلام، ويقبل في وسطه.

- **المطلب الثاني: معرفة الألفاظ والتراكيب النافعة في الكتابة والخطابة**

ليعلم ابتداء أن كثير من هذه الألفاظ والتراكيب، يمكن تحصيلها بالقراءة الكثيرة في نصوص الشريعة الأصلية، ودواوين الشعر، ومصنفات الأدب. ولكن يمكن اختصار وقت كثير، بحفظ بعض المتون أو قراءة كتب مخصوصة قراءة درس وتكرار وتمحيص.

فمن أفضل ما يحفظ في هذا الباب: نظم "موطأة الفصيح" لمالك بن المرحل، فإنه نظم فيه كتاب "الفصيح" لأبي العباس ثعلب.

وأما في المطالعة فليقرأ: كتاب "الألفاظ الكتابية" للهمداني، وكتاب "كفاية المتحفظ" لابن الأجدابي.

وليدمن النظر في "نجعة الرائد" لليازجي، فإنه كتاب مغفول عنه، مع عظيم فائدته لمن يعتني بصنعة الشعر أو النثر، أو يمارس الكتابة أو الخطابة بالفصحى.

وهذا المطلب لا يكفي فيه الحفظ المجرد، ولا القراءة الخالصة، وإنما يلزم التأمل وإطالة النظر في التراكيب، ثم استعمالها والإبداع بها حتى تقرّ في الذهن، وتصير من الزاد المحصل الذي يندر أن ينسى.

- **المطلب الثالث: المعاجم اللغوية**

من أفضل ما يبدأ به: قراءة سريعة لكتاب "المعجم العربي – نشأته وتطوره" لحسين نصار.

ليكون لديه اطلاع على فن المعاجم، وتاريخ التأليف فيه، ومعرفة بأشهر المعاجم المتداولة.

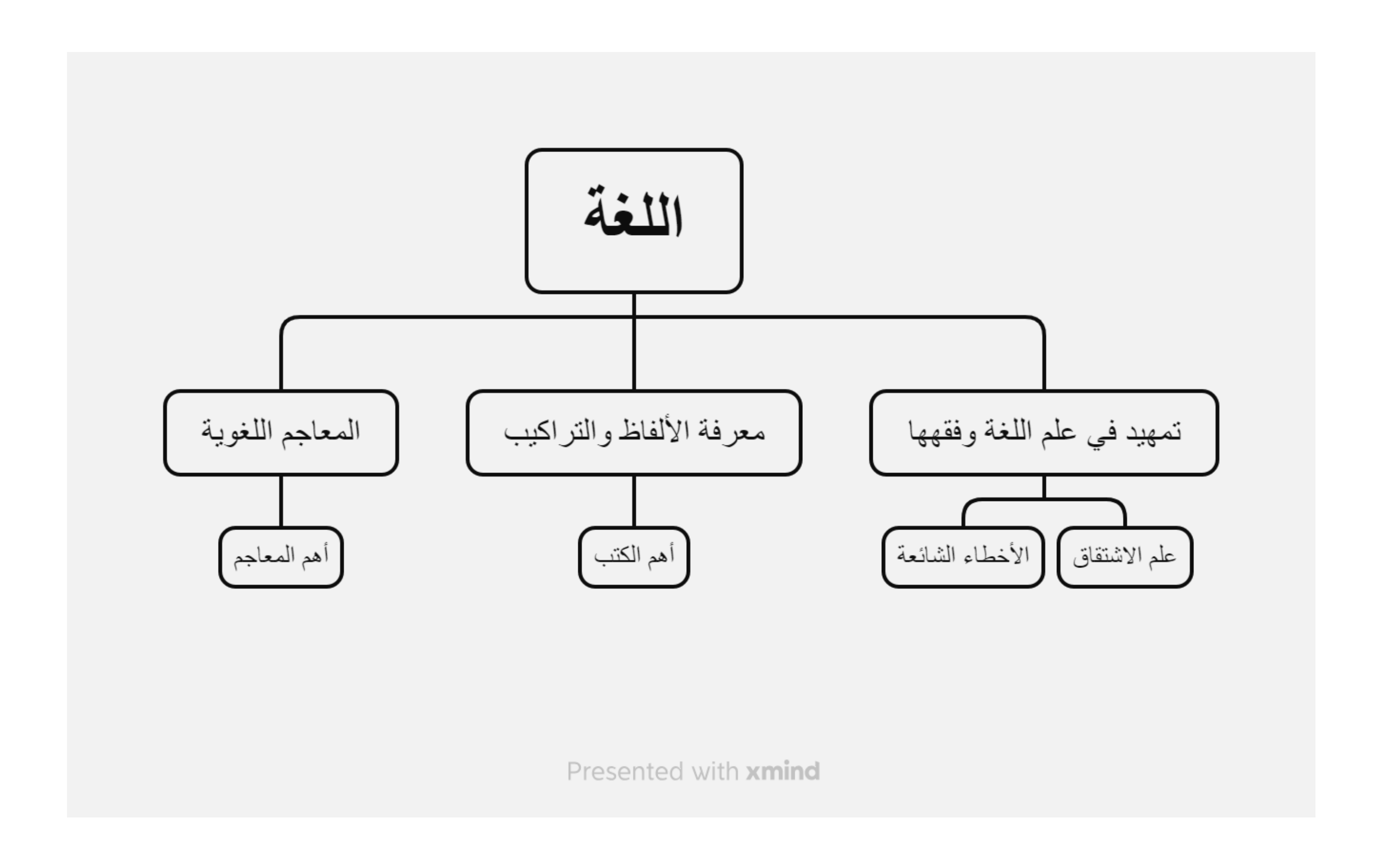
ومن المهم أن يكون للطالب قراءة دورية في بعض المعاجم المتداولة، فوق رجوعه إليها للبحث عن معاني الكلمات، والمقترح في هذا أن يبدأ بقراءة "المصباح المنير" للفيومي، أو "مختار الصحاح" للرازي.

وإن أراد الازدياد فليطالع في "القاموس المحيط" للفيروزابادي، وفي "الصحاح" للجوهري، وفي "تهذيب اللغة" للأزهري، وفي "المخصص" لابن سيده.

ولا يلزمه أن يقرأها كاملة، وإنما يكون له فيها قراءة دائبة، تجعله على اطلاع كاف على مناهجها وأساليبها، وعلى معرفة بكثير من المفردات الواردة فيها.

ثم تكون أبواب النظر في المعاجم الأخرى أمامه مترعة، وأخصُّ "لسان العرب" لابن منظور و"تاج العروس من جواهر القاموس" للزبيدي؛ فإنه قلَّ أن يفوتهما من لسان العرب شيء معتبر.

وليحذر من الاعتداد بالمعاجم العصرية التي تجمع البعر والخرز الثمين!


اللغة
تمهيد في علم اللغة وفقهها
معرفة الألفاظ والتراكيب
المعاجم اللغوية
علم الاشتقاق
الأخطاء الشائعة
أهم الكتب
أهم المعاجم
Presented with xmind

المبحث الثاني: النصوص الدينية الأولى

هذه النصوص هي اللب والأساس الذي تستخرج منه أعلى قواعد العربية، وأكثر التعبيرات بلاغة، فكما قال الرافعي: "لا فصاحة ولا لغة إلَّا بالحرص على القرآن، والحديث، وكتب السَّلف وآدابهم"[43].

ولأجل هذا المعنى، وجدنا الأديب الكاتب البليغ أبا إسحق الصابي قديما ينشأ على دين الصابئة الحرانيين، ولكنه مع ذلك يحفظ القرآن ويصرّف آياته في كتاباته! ووجدنا في عصرنا الأدباء وعلماء العربية من نصارى العرب مثلا، يقبلون على تعلم القرآن، واستعمال آياته وكثير من الأحاديث والآثار عن السلف في تعبيراتهم.

ومن بركة القرآن والحديث، أنني رأيت من يقبل على تعلم كتاب الله حفظا وقراءة، مع ما يتعلق بذلك من قراءة الآثار السلفية وكتب السيرة والتاريخ، فيفصح لسانه، وتجزل لغته، ويسلم من اللحن والعجمة، مع أن زاده من علوم اللغة قليل جدا.

وإذا علم هذا، فالمتعين على طالب الملكة اللغوية أن يعطي ما في هذا المبحث حظه الكامل من الجهد والهمة، وأنا ضامن له – بإذن الله تعالى – أن يخرج بلسان فصيح، ومعرفة لغوية سامقة.

ومدار هذا المبحث على أربعة مطالب:

القرآن الكريم، السنة النبوية، الآثار السلفية، السيرة والتاريخ.

---

43 تحت راية القرآن: 19.

- **المطلب الأول: القرآن الكريم**

وطرائق الاستفادة من القرآن الكريم في المجال اللغوي كثيرة، وقد كان الأدباء النصارى في القرن الفائت ينهلون منه.

فأول ما يعتني الطالب به: حفظ كتاب الله كاملا، فإن أعجزه ذلك فلا أقل من أن يدمن قراءته، حتى تصير العبارات القرآنية منه على طرف الثمام.

وليحرص على تعلم قواعد التجويد، ورياضة لسانه وفكّه بها، حتى يعتاد النطق العربي الفصيح.

وليعتن بمعاني مفردات القرآن، فإن ذلك يزوده بثروة لغوية عظيمة، ومما يفيد في هذا: كتاب "المفردات في غريب القرآن" للراغب الأصفهاني.

ولحفظ القرآن وقراءته أهمية كبيرة في ضبط كثير من قواعد النحو والصرف واللغة. وأما البلاغة، فمن القرآن نبعت، وفيه أصولها وأصنافها، وقواعدها وشواهدها.

- **المطلب الثاني: السنة النبوية**

مغبون من انشغل عن كلام سيد الفصحاء، بكلام غيره من الأدباء والشعراء، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن نفسه بقوله: "بُعِثتُ بجوامِعِ الكلم". ففي كلامه صلى الله عليه وسلم براعة في الجمع، وقلة لفظ مع كثرة المعاني.

والمقترح للاستفادة من نفائس اللغة المودعة في الأحاديث النبوية: أن يكون للطالب ورد يومي أو أسبوعي لقراءة دواوين الأحاديث المجردة عن الإسناد، مثل: رياض الصالحين، ومختصر صحيح البخاري للزبيدي، ومختصر صحيح مسلم للمنذري.

وإن قرأ مع ذلك بعض شروح الحديث، كان في ذلك محسنا غاية الإحسان.

- **المطلب الثالث: كلام السلف**

السلف الصالح هم أئمة الدين، وفهمهم للوحيين إمام الفهوم، وهم عرب أقحاح، أو متعربون في عصور الفصاحة، ولذلك بلغ كلامهم الغاية في الأخذ بمجامع البلاغة، مع صحة المعاني وقلة التكلف فيها.

وكلام السلف منثور في كتب كثيرة متباينة المقاصد.

فمنها كتب الحديث، كالصحيحين والسنن والمسانيد والمصنفات وغيرها.

ومنها كتب التفسير الأثرية التي تعتني بنقل كلام الصحابة والتابعين في تفسير القرآن.

ومنها كتب الفقه الأولى، وأخص منها كتب الإمام الشافعي، فإنها من الفصاحة بالمكان الأوفى.

ومنها كتب التراجم، فإن منها من كلام السلف كنوزا عسجدية.

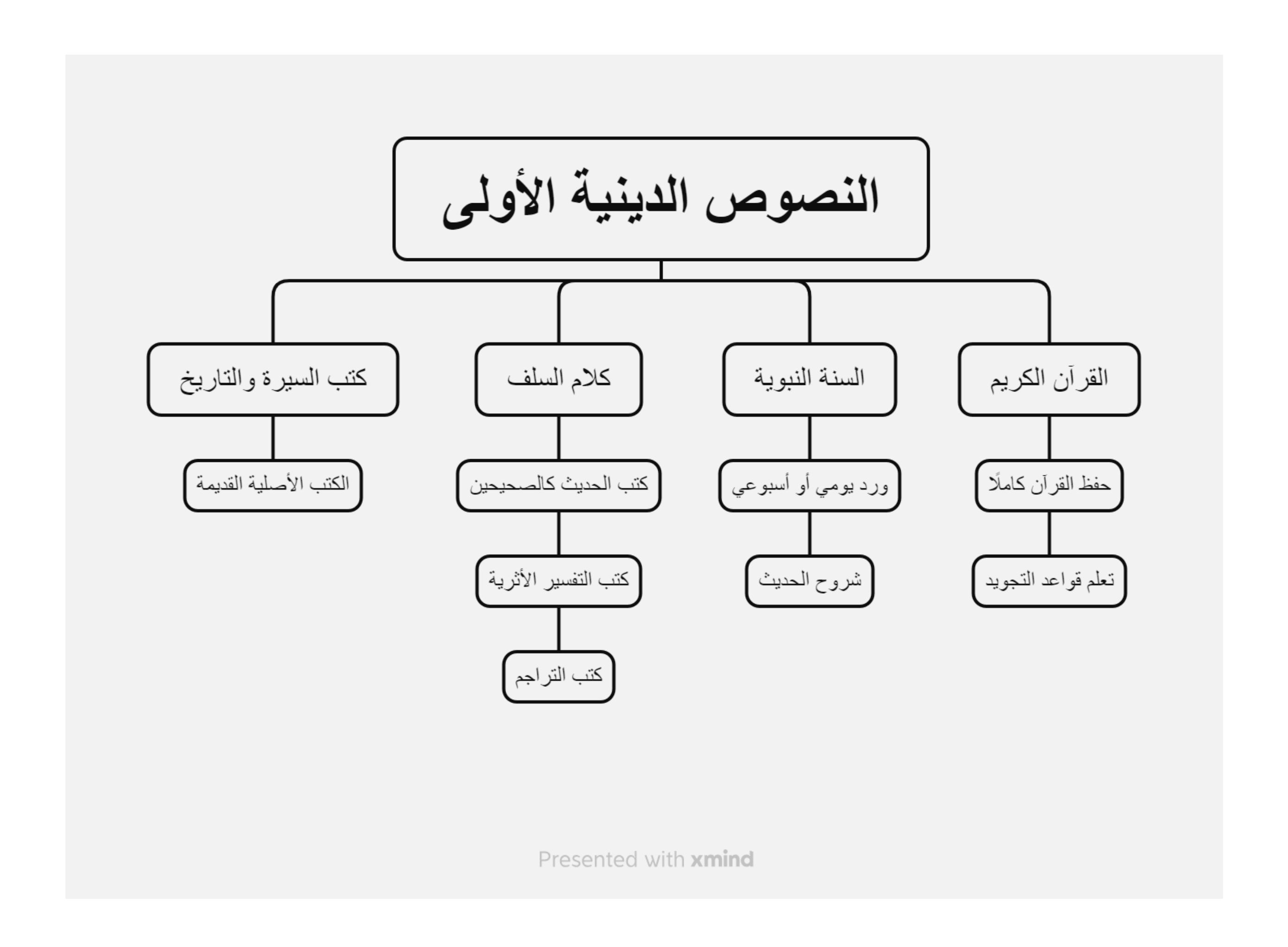
فليطلع على ما أمكن من هذه التصانيف؛ فمهما استكثر من ذلك، قوي لسانه، وفصح بيانه.

- **المطلب الرابع: كتب السيرة والتاريخ**

وفي هذه الكتب عجائب من فصيح الكلام، لا يتفطن لها كثير من الأنام. فينبغي الحرص على الكتب الأصلية القديمة في هذين الفنين، واجتناب كتب المعاصرين التي تتصرف في الروايات والأقوال، فتحكيها بأسلوب عصري.

وأرشح للطالب أربعة كتب ينبغي العناية بقراءتها، وهي:

- أيام العرب في الإسلام، جمع: محمد أبو الفضل إبراهيم ومحمد البجاوي.
- تهذيب سيرة ابن هشام لعبد السلام هارون (أو أصله لمن قدر عليه).
- البداية والنهاية لابن كثير.
- سير أعلام النبلاء للذهبي.


النصوص الدينية الأولى
القرآن الكريم
السنة النبوية
كلام السلف
كتب السيرة والتاريخ
حفظ القرآن كاملًا
تعلم قواعد التجويد
ورد يومي أو أسبوعي
شروح الحديث
كتب الحديث كالصحيحين
كتب التفسير الأثرية
كتب التراجم
الكتب الأصلية القديمة
Presented with xmind

المبحث الثالث: الأدب

لا تنفع علوم اللغة العربية دون ممارسة الأدب، ولا توجد ممارسة صحيحة للأدب دون تمكن من علوم العربية!

والغلط واقع في شقي هذه القضية!

- **المرحلة الأولى**: الغاية منها: الاستئناس بالقراءة الأدبية، والتدرب عليها، مع وضع اللبنات الأولى للبناء الأدبي الباذخ الذي يراد تشييده.

ومن الكتب المناسبة لهذه المرحلة: مجموع أعمال الأديب المصري مصطفى لطفي المنفلوطي.

- **المرحلة الثانية**: المقصود فيها: قراءة بعض كتب الأدب الأصلية، وحفظ بعض الأشعار التي لا يستغني الطالب عن حفظها. وتحصيل ذلك في محاور:

1- الأول: حفظ بعض الشعر الفصيح:

ونرى أن يبدأ فيه بكتاب "قلادة الأديب".

2- الثاني: مطالعة الكتب التأسيسية في الأدب:

ومنها: "كليلة ودمنة"، و"البيان والتبيّن"، و"أدب الكاتب"، و"الكامل"، و"الأمالي".

3- الثالث: قراءة للمعاصرين:

وهو باب واسع، ومن أحسن ما فيه للطالب المبتدئ ليقتدي به: مجموع كتب الشيخ علي الطنطاوي، و"فيض الخاطر" لأحمد أمين وأسلوبه فيها من أفضل ما يقتدي به المبتدئ لجمعه بين الفصاحة والسهولة مع تطرقه للموضوعات الاجتماعية المتداولة.

- **المرحلة الثالثة:** الغاية منها: الانطلاق إلى القراءة الأدبية الموسعة التي تفتق المواهب الأدبية، وترسخ الملكة[44].

وتذكَّر أنَّ "دِراسَةَ العِلمِ وحدَهَا، والوقُوفَ على شَواهِدَ يَسِيرَةٍ من كلامِ الفُصَحاء والبلغاء لا يبلغَان بكِ إلى المقصِد، كما لو درَسْتَ قواعِدَ الحسابِ مثلًا وحللتَ مسائِلَ قَلِيلَةٍ لكُلِّ قَاعِدَة، فإنّ هذا لاَ يُكْسبكَ الملكَةَ التي تستطِيعُ أن تَحُلَّ بها كثيرًا من المسائل، بل لا بدّ للملَكَةِ من التّمرين ومُمَارَسة حلِّ كَثيرٍ من المسائل المختَلِفَة حتّى تتكوّنَ لدَيْكَ.

فبلاغَةُ القوْلِ ورَشَاقَةُ التّعبيرِ ورَصَانَتُهُ وإصَابَةُ المرمَى من نفسِ السّامِع تحتاجُ إلى إدمانِ القِراءَة في كُتُب الأدبِ والوقُوفِ على مُتنوّع الأسَاليبِ من أقوال الكُتّاب والشّعراء والخطباءِ وحفظِ ما يُمكِنُكَ حِفْظُه من منثُورهم ومنظُومهم.

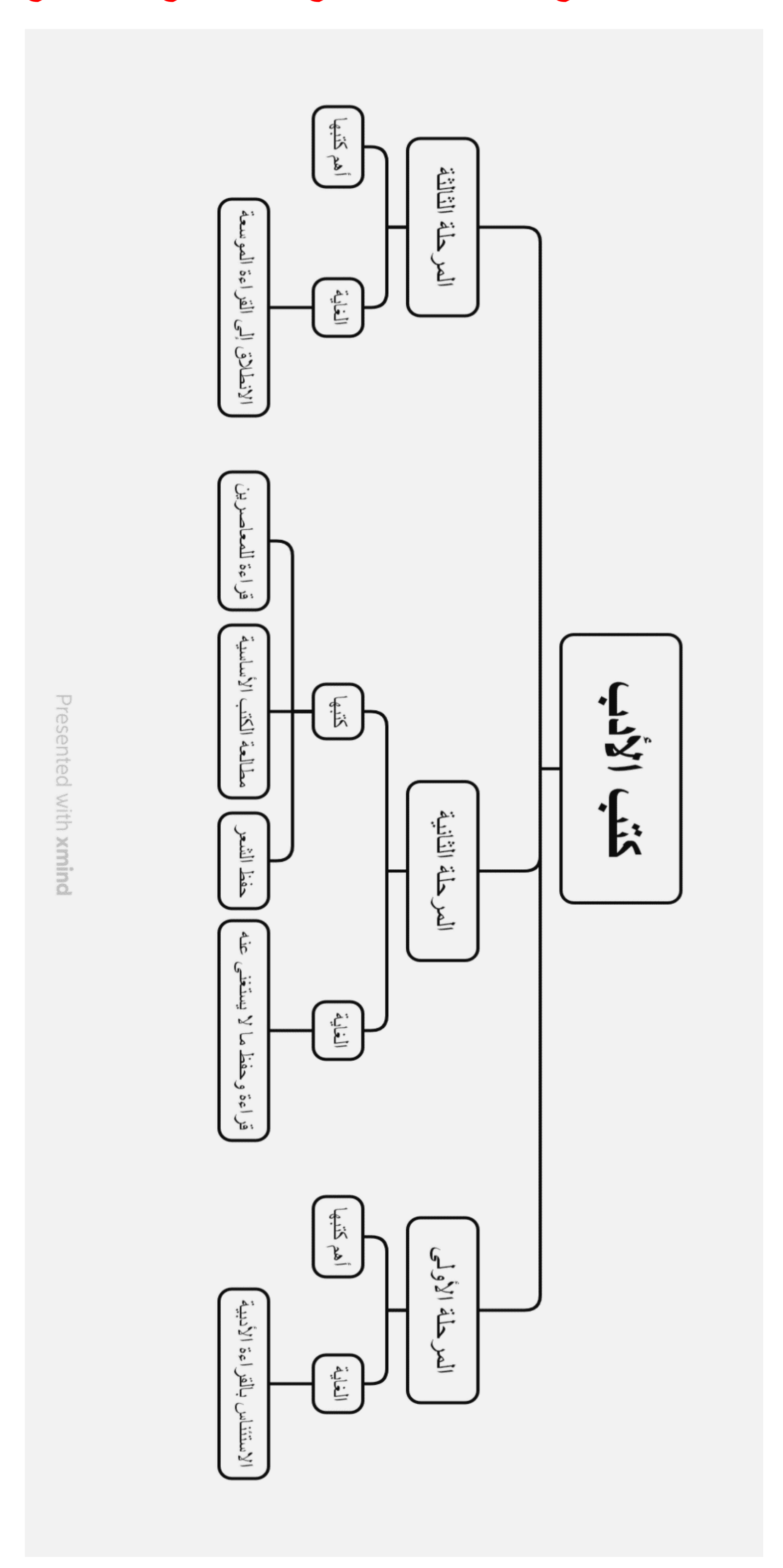
ولا نرى كاتِبًا ولا شَاعِرًا مُجِيدًا إلاّ جالَ في مُختَلَف الأساليبِ الشِّعريةِ والنّثرية جولةً صَادِقَةً، وروى عن عذبِها وغاصَ في بحَارِها، واستَخرجَ من دُرَرِها.

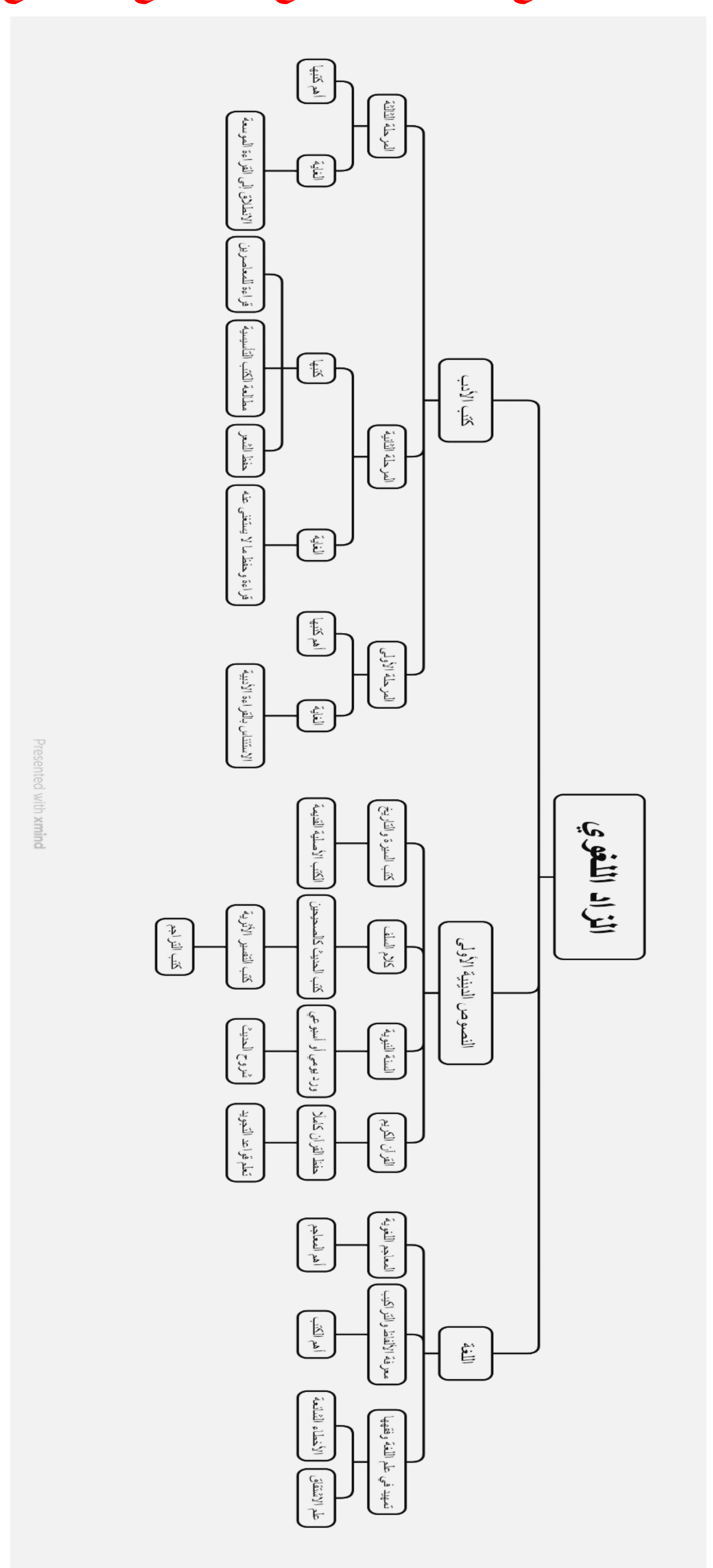
فعَليكَ أيّها القارئُ من الإكثار من القراءةِ فيما خلّفه لنا العربُ من تُراثٍ أدَبِيٍّ من النّظِيم والنّثِيرِ في مُختَلفِ العُصُورِ، فإنّكَ إن فَعَلْتَ ذَلِك ظَفِرْتَ بِمَلَكَةٍ مُواتِيةٍ وحظٍّ منَ الأدَبِ عَظيم"[45].

---

44 راجع ترشيحات هذا المبحث كاملًا في كتاب تكوين الملكة اللغوية ص154-159.

45 علوم البلاغة للمراغي: ص267، نقلا عن الأديب ربيع السملالي.


كتب الأدب
المرحلة الأولى
الغاية
الاستئناس بالقراءة الأدبية
أهم كتبها
المرحلة الثانية
الغاية
قراءة وحفظ ما لا يستغنى عنه
كتبها
حفظ الشعر
مطالعة الكتب الأساسية
قراءة للمعاصرين
المرحلة الثالثة
الغاية
الانطلاق إلى القراءة الموسعة
أهم كتبها
Presented with xmind


الزاد اللغوي
اللغة
النصوص الدينية الأولى
كتب الأدب
تمهيد في علم اللغة وفقهها
علم الاشتقاق
الأخطاء الشائعة
معرفة الألفاظ والتراكيب
أهم الكتب
المعاجم اللغوية
أهم المعاجم
القرآن الكريم
حفظ القرآن كاملًا
تعلم قواعد التجويد
السنة النبوية
ورد يومي أو أسبوعي
شروح الحديث
كلام السلف
كتب الحديث كالصحيحين
كتب التفسير الأثرية
كتب التراجم
كتب السيرة والتاريخ
الكتب الأصلية القديمة
المرحلة الأولى
الغاية
الاستئناس بالقراءة الأدبية
أهم كتبها
المرحلة الثانية
الغاية
قراءة وحفظ ما لا يستغنى عنه
كتبها
حفظ الشعر
مطالعة الكتب التأسيسية
قراءة للمعاصرين
المرحلة الثالثة
الغاية
الانطلاق إلى القراءة الموسعة
أهم كتبها
Presented with xmind

الفصل الثالث

الدربة التطبيقية

من المناهج المشهورة اليوم في تعلم اللغات، ما يسمى: "التدريب بالانغماس". ويقصدون به أن ينغمس الطالب في اللغة التي يقصد إلى تعلمها، فيمضي الساعات الطوال في القراءة والتحدث والكتابة بهذه اللغة فحسب، ولا يلجأ إلى لغته الأصلية إلا في الضرورة القصوى!

ويصل الأمر بعد هذا الانغماس التام، إلى حد التفكير بهذه اللغة.

ومن المزالق الخطيرة التي يقع فيها المبتدئ، أن يفكر بلغة ويعبر عن الفكرة ذاتها بلغة أخرى. فيكون تعبيره لونا من الترجمة السخيفة التي تفتقر إلى مبادئ الفصاحة.

وينبغي أن يكون هذا التدريب تحت إرشاد مدربين متمكنين من اللغة، وحريصين على عدم استخدام لغة غيرها في التعليم. وكان هذا المنهج مستعملا –إلى حد بعيد– في الدراسات اللغوية التقليدية، فقد كان درس النحو أو الصرف أو البلاغة أو الأدب العربي يؤدى بالفصحى وحدها، ولا يُسمع لغيرها في هذه المجالس رِكز!

هذا المنهج إذن من أفضل ما يتبع لتعلم العربية، ولكنه صعب المنال، لحاجته لتأطير حسن، وتفرغ في أوقات ممتدة. فإذا لم يمكن سلوكه، فليستعض عنه بالاستماع الكثير لأهل الفصاحة، واجتناب مخالطة أهل العجمة والفهاهة.

ولكن المشكلة أن المتكلمين الفصحاء في عصرنا مثل عنقاء مُغرب!

فلأجل ذلك، سأقترح فيما يلي، منهجا للتدرب على ممارسة اللغة، لا يُحتاج فيه إلى أستاذ يرشد، ولا إلى بليغ يستمع إليه!

وقبل الشروع في المقصود، فليتأمل هذا النص النفيس الذي ينقله الجاحظ عن بشر بن المعتمر، ويقول فيه: "خُذْ مِن نفْسِك ساعةَ نَشاطِك وفَراغَ بالِك وإجابتَها إيَّاك؛ فإنَّ قَليلَ تلك السَّاعةِ أكْرَمُ جَوْهرًا، وأشْرَفُ حَسَبًا، وأحْسَنُ في الاسْتِماعِ، وأحْلى في الصُّدورِ، وأسْلَمُ مِن فاحِشِ الخَطَأِ، وأجْلَبُ لكلِّ عَيْنٍ مِن لَفْظٍ شَريفٍ، ومَعنًى بَديعٍ، واعْلَمْ أنَّ ذلك أجْدى عليك ممَّا يُعْطيك يَوْمُك الأطْوَلُ بالكَدِّ والمطاوَلةِ والمجاهَدةِ، وبالتَّكلُّفِ والمعاوَدةِ"[46].

وهذا النص حقيق بالتدبر وجدير بالتطبيق.

46 البيان والتبيين: 135/1

المبحث الأول: التعبير الشفوي

في اللغات جميعها، تعد موهبة الحديث من أحسن المواهب اللغوية، التي يسعى المتعلمون إلى إتقانها، ويعد من يحسنها أفضل من غيره.

وعند العرب خاصة، اقترنت الفصاحة بالمنطوق، وذلك لأن العربية في الأصل لغة شفهية.

وأنت واجد في كتب الأدب نقولا كثيرة عن الخطابة والخطباء، وأبحاثا في أركان الخطبة وأحوال الخطيب، والعيوب التي عليه أن يتقيها، وتراجم فحول الخطباء.

ثم إن التعبير الشفوي ركن ركين في كثير من الوظائف الإسلامية السامية، كالوعظ، والدعوة إلى الله، وتدريس العلم الشرعي، وغير ذلك.

ولهذا على الطالب أن يعتني بهذا الباب، ويبذل له من وقته وجهده حتى يحصل منه ما ينفعه.

والدربة على التعبير الشفوي تقوم على الأركان التالية:

- **الركن الأول: القراءة بصوت عال**

والغرض من ذلك ترويض اللسان والفكّين على النطق العربي الصحيح، واشتراك الأذن والعين في ذلك مع اللسان.

والمقترح أن يقرأ الطالب بصوت مرتفع، كل يوم صفحتين على الأقل، من مؤلَّف مكتوب بلسان عربي فصيح. ومن أعجب التجارب التي نُقِلت في ذلك ما ذكره أبو هلال العسكري رحمه الله إذ قال:

"حُكي لي عن بعضِ المشايخ أنّه قال: رأيتُ في بعضِ قرى النبْطِ فتى فصيحَ اللّهجة، حسن البيان، فسألته عن سبب فصاحته مع لُكْنَةِ[47] أهلِ جِلدته، فقالَ: "كنت أعمد في كل يوم إلى خمسين ورقة من كتب الجاحظ، فأرفعُ بها صوتي في قراءتها، فما مرّ لي إلاّ زمان قصير حتى صِرتُ إلى ما ترى"[48].

ولتكن القراءة بطريقتين مختلفتين:

أولاهما: طريقة قراءة المتون، وميزتها الحرص على النطق بحركات آواخر الكلمات مطلقا. وفائدتها مراجعة قواعد النحو، والتأكد من السلامة واللحن.

والثانية: طريقة قراءة الخطباء والفصحاء، وهي الأصل عند العرب. وأساسها الوقف والوصل بحسب اختلاف المعاني، مع عدم الوقف على متحرك.

وليكن له في هذا الباب، حظ من قراءة الشعر كذلك.

- **الركن الثاني: تقليد حديث الفصحاء**

والتقليد أول خطوة في طريق التعلم. وهو لا يعاب في ذاته، فإن الطالب لا يمكنه أن يجتنبه في أوائل مسيرته التعليمية؛ بل الغالب على الطلبة تقليد أساتذتهم وشيوخهم. وإنما يعاب على من جاز المراحل الأولى في التعلّم، واستمر مع ذلك مقلدا لغيره.

وليفعل ذلك أمام مرآة، أو صديق يكون له "جمهورا" دون أن يصدر منه تعليق أو إنكار!

47 "اللُّكنةُ عُجمَة في اللّسان وعِيّ"، قال ابنُ سِيدَه: "الألْكَنُ: الذي لا يقيم العربية من عُجمة في لسانه". – ربيع السملالي.

48 الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه، أبو هلال العسكري: 72.

ومما يساعد على إتقان الخطابة: حفظ بعض الخطب الفصيحة ثم تناسيها.

- **الركن الثالث: الفصحى في الأزمنة والأمكنة كلها**

لست بمؤمل أن تُمحى العامية مطلقا وتحل الفصحى بديلا عنها، ولكنني أرجو أن يقتطع أهل الخير منها ما يقدرون عليه، ويهزموها في بعض المواقع، ويعود من ذلك الخير العميم على الأمة.

والمقترح: أن يخصص الطالب وقتا يتعمد فيه ألا يتحدث إلا باللسان الفصيح.

ومن التجارب النافعة: مبدأ "يوم دون عامية"، يتحدث المشاركون فيه بالفصحى، بإشراف بعض المتخصصين. وفي ضمن ذلك، تحصل للمشارك فوائد جليلة، من تصحيح لحن أو تعريب لفظة أو تعلم تركيب لغوي أو غير ذلك.

- **الركن الرابع: تعلم محسنات الخطابة**

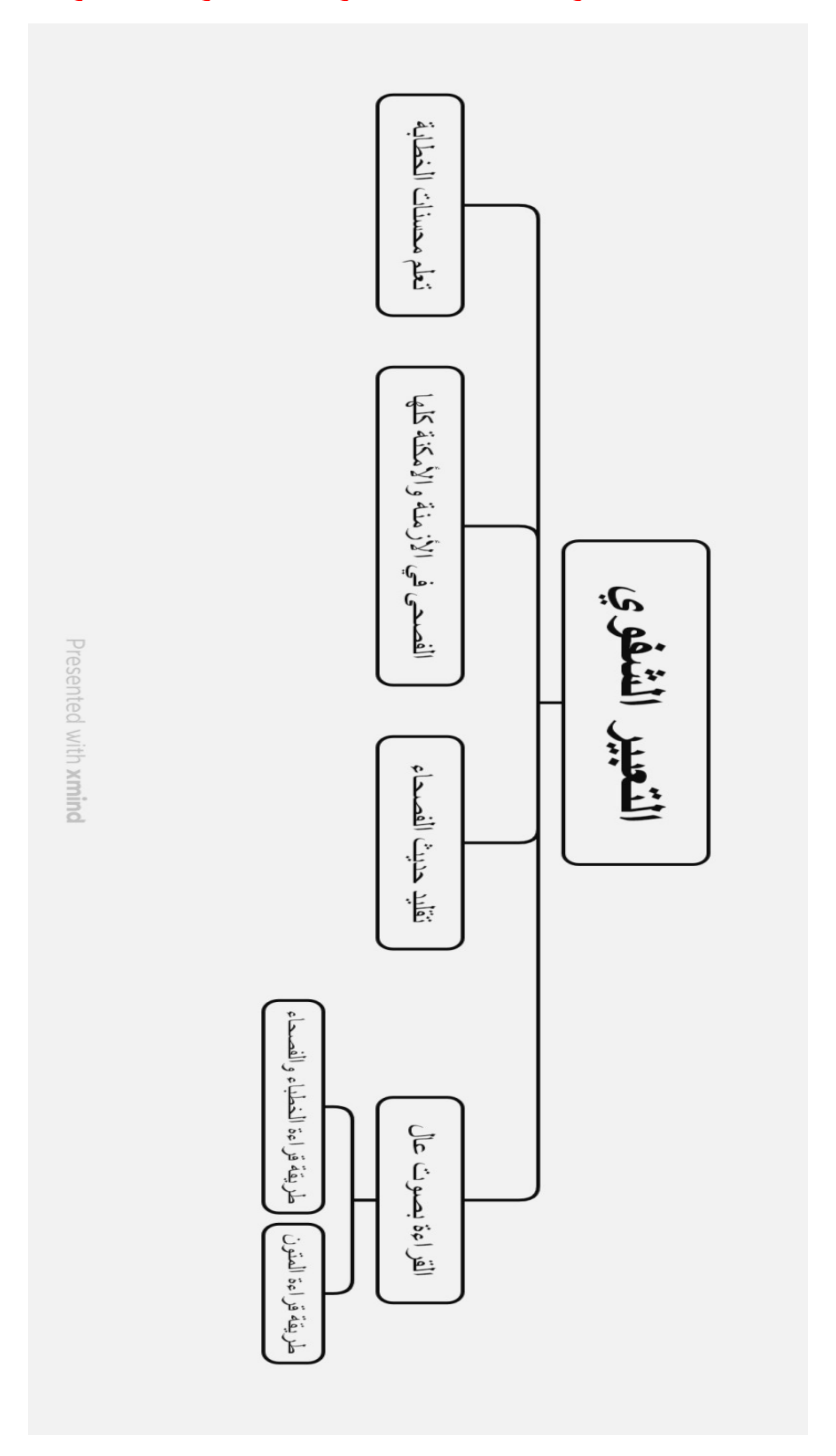
وهذا شيء يعتني المؤلفون في أركان الخطابة وأصولها وعيوبها، ببيانه ووضع قواعده. وعلى رأس هؤلاء في تراثنا الأدبي القديم: الجاحظ في كتابه "البيان والتبيّن". وفي الكتب الأخرى فوائد كثيرة في هذا.

فمما ينبغي للمتحدث عموما والخطيب خصوصا، أن يحرص عليه: الاستشهاد بالأشعار والأقوال المأثورة، فإنها تعطي الكلام وزنا، وقيمة زائدة.

وطريقة تحصيل هذا: أنك متى وجدت في قراءاتك بيتا فريدا أو نقلا نافعا، فلتستعمله مع أصدقائك وأقاربك، فإن ذلك يرسخه في ذهنك، فتجده عند الحاجة.

وعلى المتحدث أن يحرص أيضا على تنويع الكلام بحسب حال المخاطب، وذلك بالتدرب على طرق مختلفة من التعبير، من الوعظي والعلمي والفكري وغير ذلك.

وعليه أن يتعلم التؤدة عند الحديث، والسكينة في الكلام.


التعبير الشفوي
تعلم محسنات الخطابة
الفصحى في الأزمنة والأمكنة كلها
تقليد حديث الفصحاء
القراءة بصوت عال
طريقة قراءة الخطباء والفصحاء
طريقة قراءة المتون
Presented with xmind

المبحث الثاني: التعبير الكتابي

إن المكتوب يبقى ويستمر، حيث يفنى المنطوق ويندثر! ولذلك فالعناية به ينبغي أن تكون أكبر.

والمقصود هنا تعلم الأصول العامة، وتحصيل الدربة الكافية للتمكن من التعبير عن المعاني المختلفة بلسان عربي فصيح، وهذا لا يحتاج إلى موهبة خاصة، وإنما مرجعه التعلم والتدريب، لا غير.

وسأضع بين يديك أربعة محاور للتمرن على الكتابة، أرى أنك إن اتقنتها فقد حصّلت المراد.

- **المحور الأول: مرتبة التقليد**

ملخصها: أن يقلد الطالب كبار الكتاب في القديم والحديث في أساليب كتابتهم، وطرائق تصرفاتهم في التعبير. ومعرفة أسلوب الكاتب لا يكون إلا بعد قراءة الكثير من كتبه ومقالاته، دون خلطها بغيرها.

وعلى هذا فالطريقة المقترحة: أن يعمد الطالب إلى كاتب من كبار الأدباء، فيجمع نتاج يراعه في صعيد واحد، ثم يقرأه كله تباعا، ولا ينتقل –خلال ذلك– لكاتب آخر. ويكرر من ذلك ما يرى الحاجة ظاهرة إلى تكراره، لأهمية أو غموض.

ثم يتأمل ما قرأه، ويجهد أن يعرف ما يميز هذا الكاتب عن غيره، في مفرداته وتعابيره، وفي طرائق استهلاله واختتامه، وفي أساليب تخلصه وانتقاله، وفي غير ذلك من وسائل التعبير.

ثم يعمد إلى موضوع يشبه تلك الموضوعات التي يكتب فيها ذلك الكاتب، فيحاول أن يأتي بفقرة أو مقالة يحاكيه فيها.

والمقترح من الكُتاب هم الجامعون بين خصال ثلاثة: الإكثار، والإبداع، والتميز.

وممن تتحقق فيهم هذه الخصال: الجاحظ وأبو حيان التوحيدي، والرافعي والطنطاوي.

وليحذر من تقليد المتأخرين في عصور الجمود الأدبي، كالقاضي الفاضل والصفدي وابن شداد.

واعلم أن هذا ليس خاصا بالأدباء، فقد يوجد المطلوب عند الفقهاء والأصوليين والمفسرين وغيرهم من العلماء أيضا. فمن أرباب الأساليب الرائقة من العلماء: الشافعي، وابن حزم، والجويني، والغزالي، وابن القيم، وغيرهم.

- **المحور الثاني: الدربة على الاجتهاد**

وهذه مرتبة أعلى من التي سبقتها، لأنها تفتح للطالب باب الاجتهاد والإبداع في عالم الكتابة. ومدار هذا المحور على ثلاثة أمور، يجعلها ابن الأثير في "المثل السائر" أصولا للاجتهاد.

1- حل الآيات القرآنية:

المراد: أن يؤخذ معنى الآية، والألفاظ التي على مدارها، ثم يعاد سبك ذلك وصياغته في تعبير آخر، يزاد عليه ما هو من جنسه، حتى تكتمل الفقرة من الكلام العربي الفصيح.

2- حل الأحاديث النبوية:

والطريقة فيها كالطريقة المسلوكة في التي قبلها، ويزاد على الأحاديث المرفوعة: مشهور الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين، وغيرهم من أئمة السلف الصالح.

3- حل الأبيات الشعرية:

وهذا من أفضل طرق التدريب على الكتابة النثرية، لأن الشعراء هم أرباب المعاني السامية. كما أن مجال الاجتهاد فيه أوسع من سابقيه، لأن الطالب لا يكون مقيدا فيه بألفاظ الأصل.

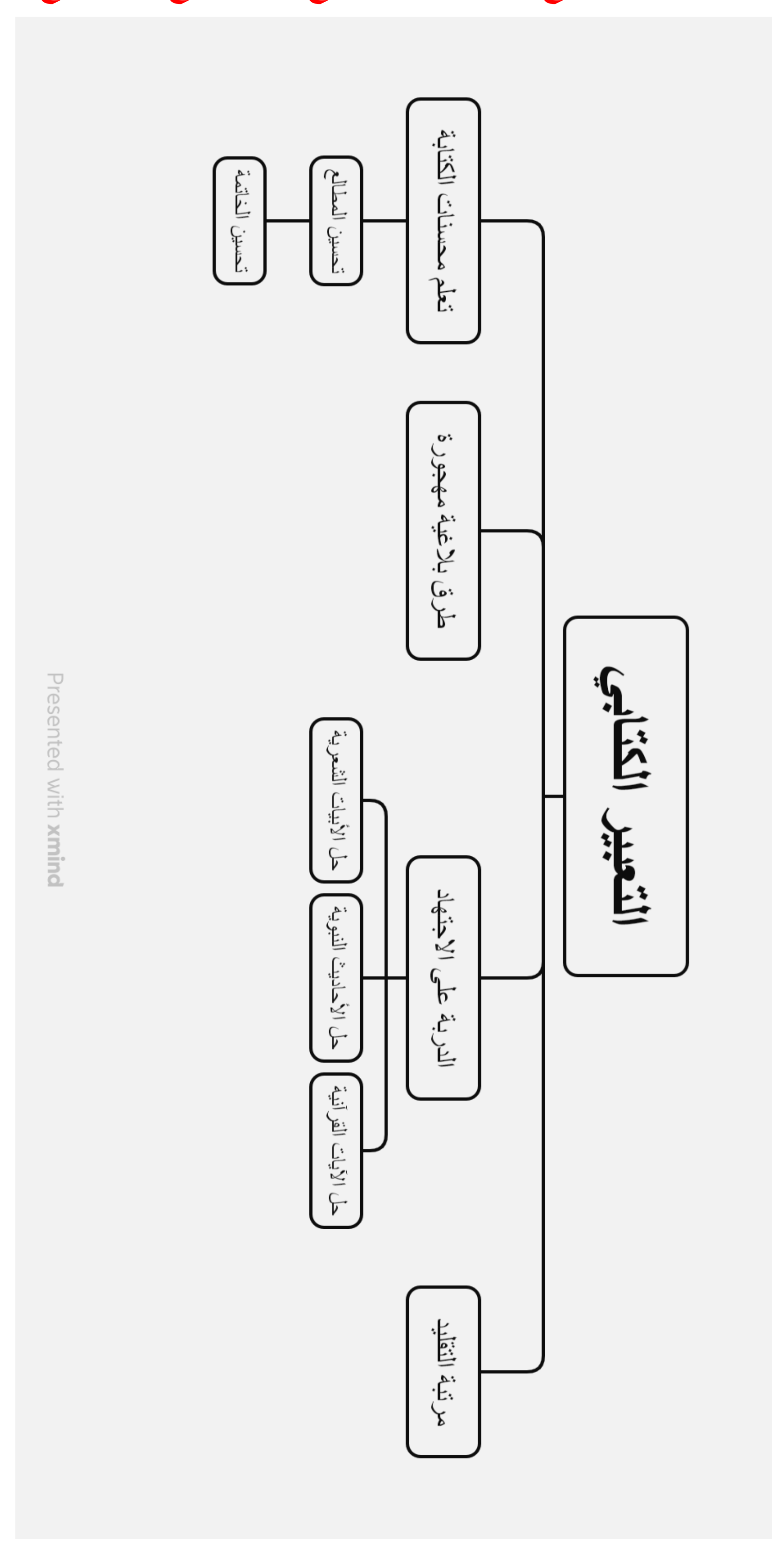
والأفضل أن يحل الطالب قصيدة كاملة، متكاملة المعاني، ولا يكتفي بالأبيات المتناثرة. فمن المقترح مثلا: سينية البحتري في وصف إيوان كسرى، ورائية أبي تمام في رثاء الطوسي، وتائية أبي الحسن الأنباري في رثاء الوزير ابن بقية، ونونية ابن زيدون الغزلية، وعينية ابن زريق البغدادي، وما أشبه ذلك؛ حتى يصل الأمر إلى قصائد المعاصرين مثل بعض القصائد السائرة لشوقي وحافظ وخليل مطران والرصافي وميخائل نعيمة وأبو ريشة وغيرهم.

- **المحور الثالث: طرق بلاغية مهجورة**

من مظاهر مرض اللغة العربية الفصحى اليوم: أن الكتاب صاروا يتداولون أساليب محصورة، لا يجاوزونها إلى غيرها. فمن المقاصد العظمى: إعادة إحياء هذه الطرق البلاغية المهجورة عمليا، عن طريق التدرب على استعمالها ما أمكن؛ وعدم الاكتفاء بدراستها نظريا في كتب البلاغة والأدب والتفسير.

- **المحور الرابع: تعلم محسنات الكتابة**

وهي كثيرة أتى على أغلبها المصنفون في علم البلاغة. منها: تحسين المطالع، تحسين الخاتمة، تحسين أساليب الانتقال من معنى لآخر، استعمال الألفاظ الشريفة غير المبتذلة، الحرص على المعاني الراقية وتوليد الأفكار الجديدة السامية.

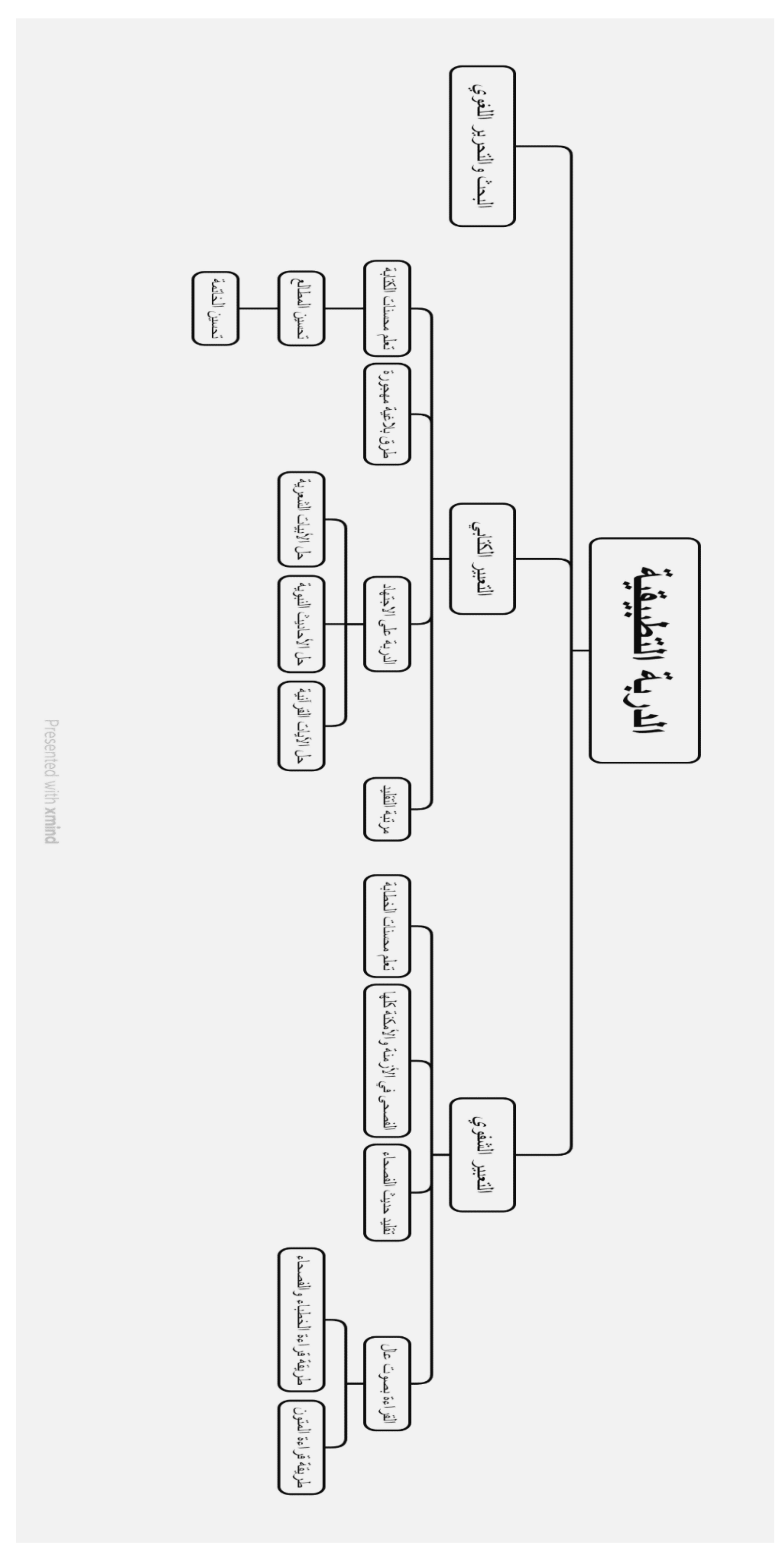

التعبير الكتابي
تعلم محسنات الكتابة
تحسين المطالع
تحسين الخاتمة
طرق بلاغية مهجورة
الدربة على الاجتهاد
حل الأبيات الشعرية
حل الأحاديث النبوية
حل الآيات القرآنية
مرتبة التقليد
Presented with xmind

المبحث الثالث: البحث والتحرير اللغوي

ممارسة البحث اللغوي، وتحرير معاني الألفاظ الملتبسة، أو تحقيق ما قيل إنه من الأخطاء اللغوية، وبيان الصحيح من الغلط في ذلك، واقتراح المفردات والتراكيب الملائمة للمعاني المستجدة.

وهذا البحث لا يكون إلا بعد التمكن من المراحل السابقة جميعها. ومن أقدم عليه قبل التمكن، كان ما يفسده أكثر مما يصلحه.

يدور البحث اللغوي على محاور كثيرة، أهمها: معاني المفردات، صحة المفردات، صحة التراكيب.


الدربة التطبيقية
التعبير الشفوي
التعبير الكتابي
البحث والتحرير اللغوي
القراءة بصوت عال
تقليد حديث الفصحاء
الفصحى في الأزمنة والأمكنة كلها
تعلم محسنات الخطابة
مرتبة التقليد
الدربة على الاجتهاد
طرق بلاغية مهجورة
تعلم محسنات الكتابة
طريقة قراءة المتون
طريقة قراءة الخطباء والفصحاء
حل الآيات القرآنية
حل الأحاديث النبوية
حل الأبيات الشعرية
تحسين المطالع
تحسين الخاتمة
Presented with xmind

الفصل الرابع

التمثيل ببعض الملكات اللغوية الفرعية

المبحث الأول: ملكة الفهم الاستنباطي المستند إلى اللغة

هذه الملكة إلى علم "أصول الفقه" أقرب، وذلك أن الأصوليين "سطَوا" عليها من ضمن ما سطوا عليه من المباحث اللغوية!

والمقصود بهذه الملكة: القدرة على استنباط الحكم الشرعي من نص القرآن أو السنة، بقطع النظر عن الأدلة الأخرى.

ولا بد هنا من التنبيه على أمرين:

الأول: أن ملكة الاستنباط غير ملكة الفهم، فلا يكون الاستنباط إلا بعد الفهم.

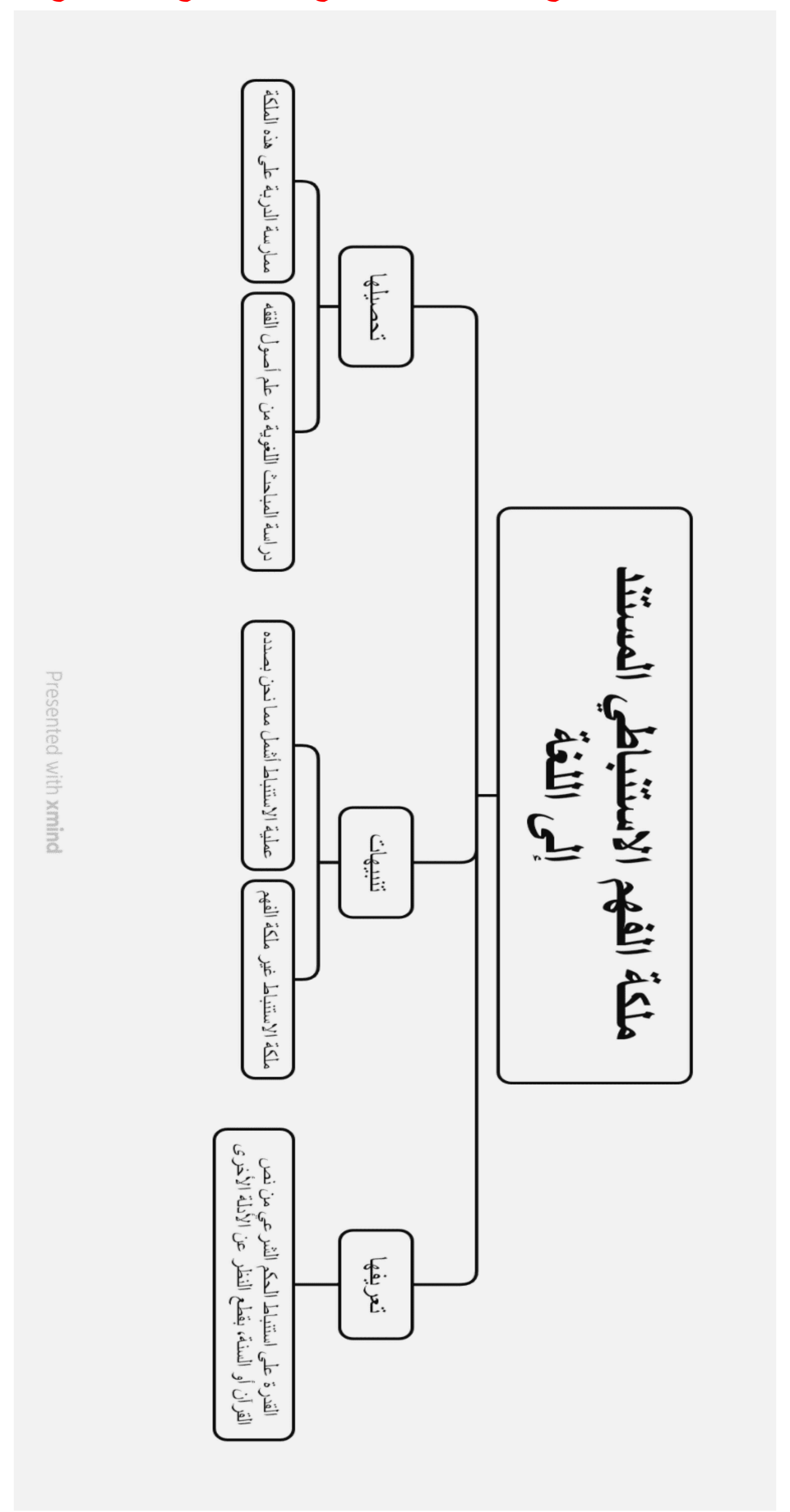
والثاني: أن عملية الاستنباط —كما يقررها الأصوليون— أشمل مما نحن بصدده.

أما تحصيل هذه الملكة فيكون بأمرين اثنين:

- أولهما: دراسة المباحث اللغوية من علم أصول الفقه، وهي كثيرة بعضها مشترك مع علوم العربية، وبعضها مما يتفرد به الأصوليون.
- والثاني: ممارسة الدربة على هذه الملكة.

وطريقة ذلك: أن يعمد الطالب إلى اختيار نص من القرآن أو الحديث، وليكن ذلك من آيات الأحكام أو أحاديثها وهي محصورة معروفة، ثم يفهم ألفاظها ومعانيها الإجمالية، بالاستناد إلى تفسير مختصر أو كتاب من شروح الحديث سهل العبارة، لا يخوض في التفصيلات الفقهية، ثم يشرع في التحليل اللغوي الاستنباطي للنص، بما يشبه صنيع المعرِبين إذا قصدوا إلى إعراب جملة ما.

ويستعين على هذا التحرير، بمقارنة تحليله اللغوي بما يذكره أصحاب التفاسير أو شروح الحديث التفصيلية، وعند هذه الغاية ينتهي دور ملكة اللغة، ويبدأ عمل الأصولي بأدواته الأصولية المتكاملة.


ملكة الفهم الاستنباطي المستند إلى اللغة
تعريفها
القدرة على استنباط الحكم الشرعي من نص القرآن أو السنة، بقطع النظر عن الأدلة الأخرى
تنبيهات
ملكة الاستنباط غير ملكة الفهم
عملية الاستنباط أشمل مما نحن بصدده
تحصيلها
دراسة المباحث اللغوية من علم أصول الفقه
ممارسة الدربة على هذه الملكة
Presented with xmind

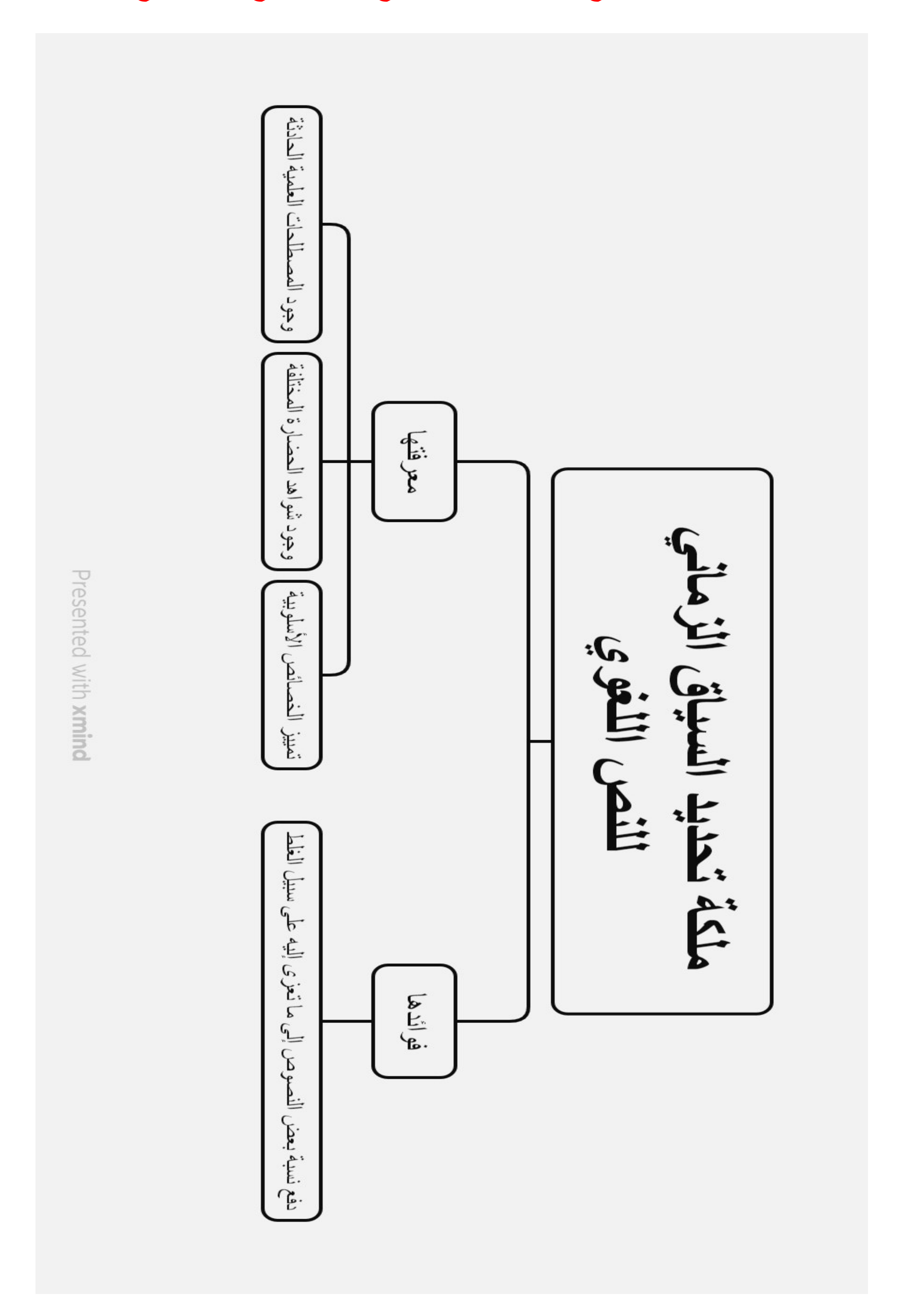
المبحث الثاني: ملكة تحديد السياق الزماني للنص اللغوي

من فوائد هذه الملكة: دفع نسبة بعض النصوص إلى من تعزى إليه على سبيل الغلط.

ومعرفة السياق الزمني للنص تكون بأمور كثيرة، تعرف بالممارسة وإدمان النظر، منها: تمييز الخصائص الأسلوبية، وجود شواهد الحضارة المختلفة، وجود الألفاظ الشرعية التي جاء بها الإسلام ولم تكن موجودة في العصر الجاهلي، وجود المصطلحات العلمية الحادثة، الإشارة إلى الأحداث التاريخية أو إلى بعض الأشخاص المشهورين مما يدل على أن النص مكتوب بعد ذلك.

وينبغي التنبه إلى أن بعض الأدباء قد يتعمد أن يكتب بأسلوب مرحلة زمنية سابقة، لغرض من الأغراض، كما تجد فيما كتبه أبو فهر محمود شاكر بعنوان "من مذكرات عمر بن أبي ربيعة".

ويلحق بهذه الملكة: معرفة السياق المكاني للنص الأدبي أيضا، ويدخل أيضا تمييز أدب الفقهاء والعلماء، من أدب الشعراء والأدباء، الذين صناعتهم الأدب.


ملكة تحديد السياق الزماني للنص اللغوي
معرفتها
وجود المصطلحات العلمية الحادثة
وجود شواهد الحضارة المختلفة
تمييز الخصائص الأسلوبية
فوائدها
دفع نسبة بعض النصوص إلى ما تعزى إليه على سبيل الغلط
Presented with xmind

المبحث الثالث: ملكة الربط بين المعنى والإعراب النحوي

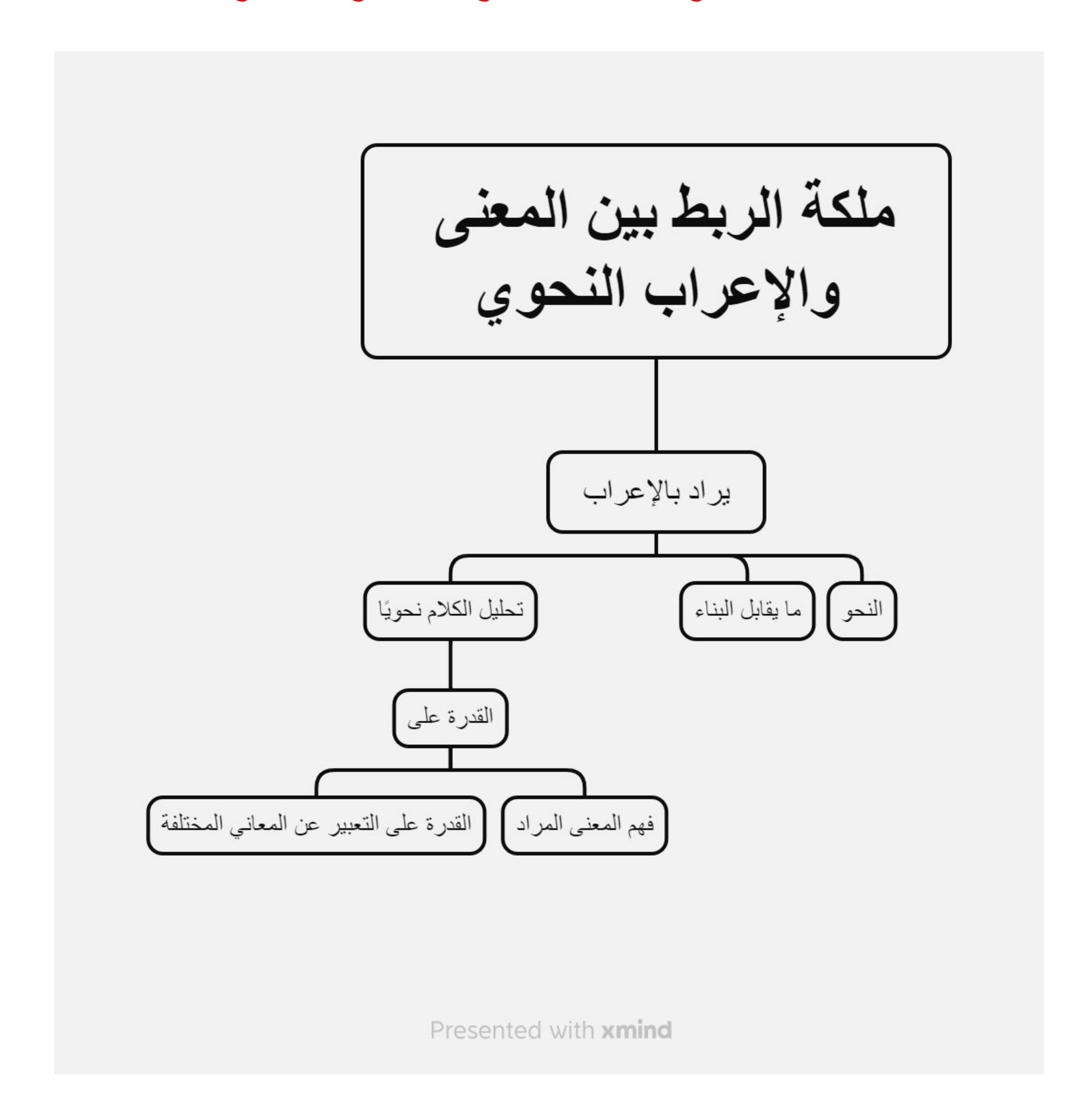
الإعراب يطلق ويراد به أحد ثلاث أمور:

- النحو
- ما يقابل البناء
- تحليل الكلام نحويا، وهو المقصود هنا. ويراد بهذه الملكة: القدرة على أمرين اثنين:

أولهما: فهم المعنى المراد من الكلام انطلاقا من إعراب بعض شراحه.

والثاني: القدرة على التعبير عن المعاني المختلفة باستعمال اصطلاحات صناعة الإعراب.

وهذه الملكة من أهم الملكات، وأكثرها فائدة لمن يتعامل مع كتب أهل العلم المتقدمين، وتحصيلها إنما هو بالممارسة العملية، سواء بقراءة المصنفات التي تعتني بالإعراب، مثل كتب التفسير المعتنية بجوانب اللغة كالبحر المحيط وروح المعاني ونحوهما؛ أو بتعمد التعبير عن المعاني بالاصطلاح الإعرابي.


ملكة الربط بين المعنى والإعراب النحوي
يراد بالإعراب
النحو
ما يقابل البناء
تحليل الكلام نحويًا
القدرة على
فهم المعنى المراد
القدرة على التعبير عن المعاني المختلفة
Presented with xmind

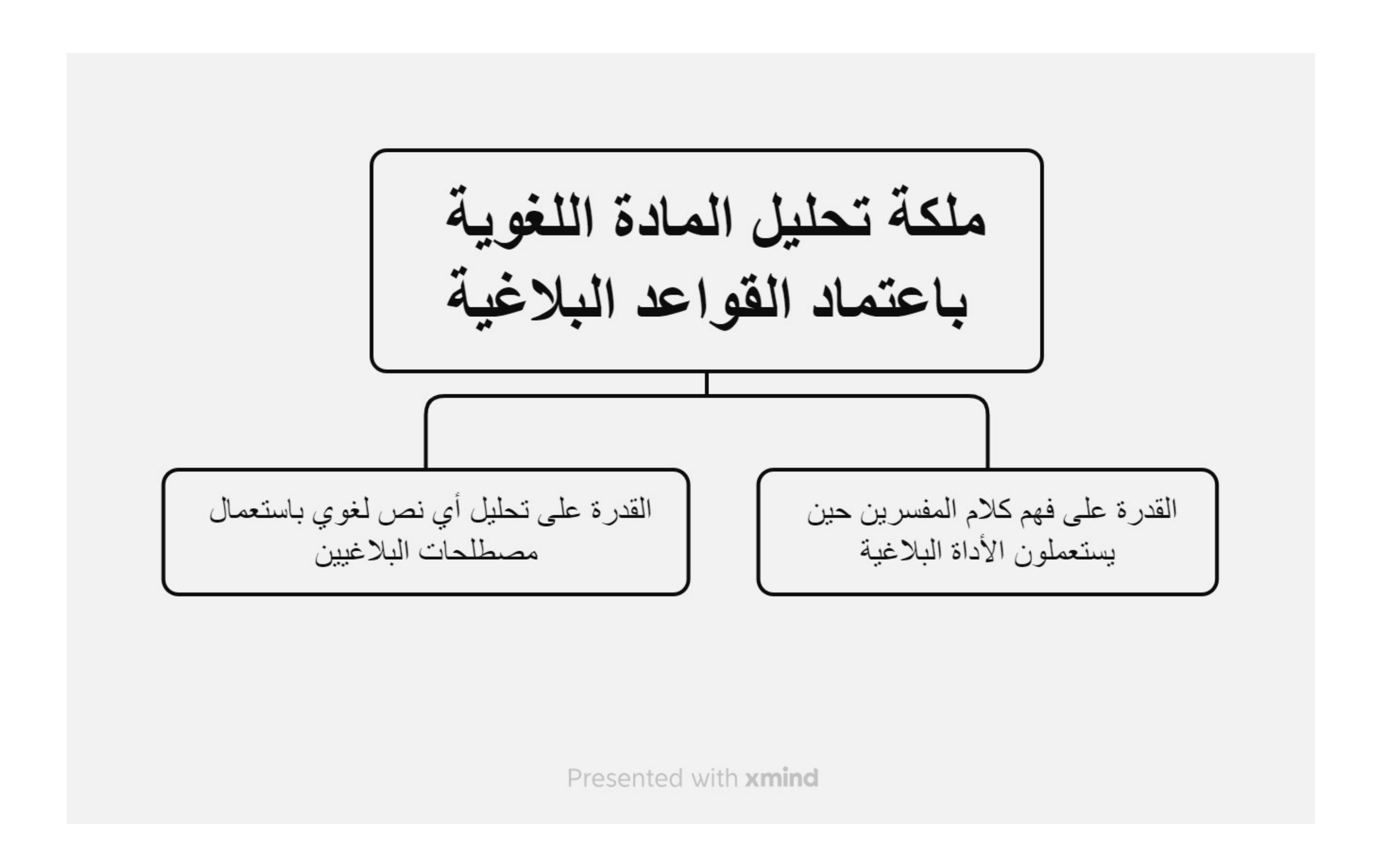
المبحث الرابع: ملكة تحليل المادة اللغوية باعتماد القواعد البلاغية

وهذه الملكة تشبه التي قبلها، إلا أن تلك في النحو وهذه في البلاغة!

والمراد بهذه الملكة أمران اثنان:

أولهما: القدرة على فهم كلام المفسرين وشراح الحديث والأدب العربي، حين يستعملون الأداة البلاغية لتحليل ما هم بصدد شرحه وبيانه، دون حاجة إلى الرجوع إلى كتب الفن.

والثاني: القدرة على تحليل أي نص لغوي، باستعمال مصطلحات البلاغيين.


ملكة تحليل المادة اللغوية باعتماد القواعد البلاغية
القدرة على فهم كلام المفسرين حين يستعملون الأداة البلاغية
القدرة على تحليل أي نص لغوي باستعمال مصطلحات البلاغيين
Presented with xmind

المبحث الخامس: ملكة التعبير اللغوي السليم عن المعاني الحادثة

والمقصود بهذه الملكة: القدرة على التعبير عن المعاني الحادثة، بلسان عربي فصيح، بعيد عن هجنة العصر الحديث، الذي تختلط فيه اللغات، فتقبح الأساليب والمفردات.

وهذا شامل لأمرين: التراكيب والألفاظ.

فأما التراكيب، فإن العصر الحديث عرف بروز كثير من التعبيرات الجديدة، التي لم تكن معروفة من قبل. وأغلبها جاء من ترجمة الكتب والمقالات والأبحاث التي تنتجها المكتبة الغربية.

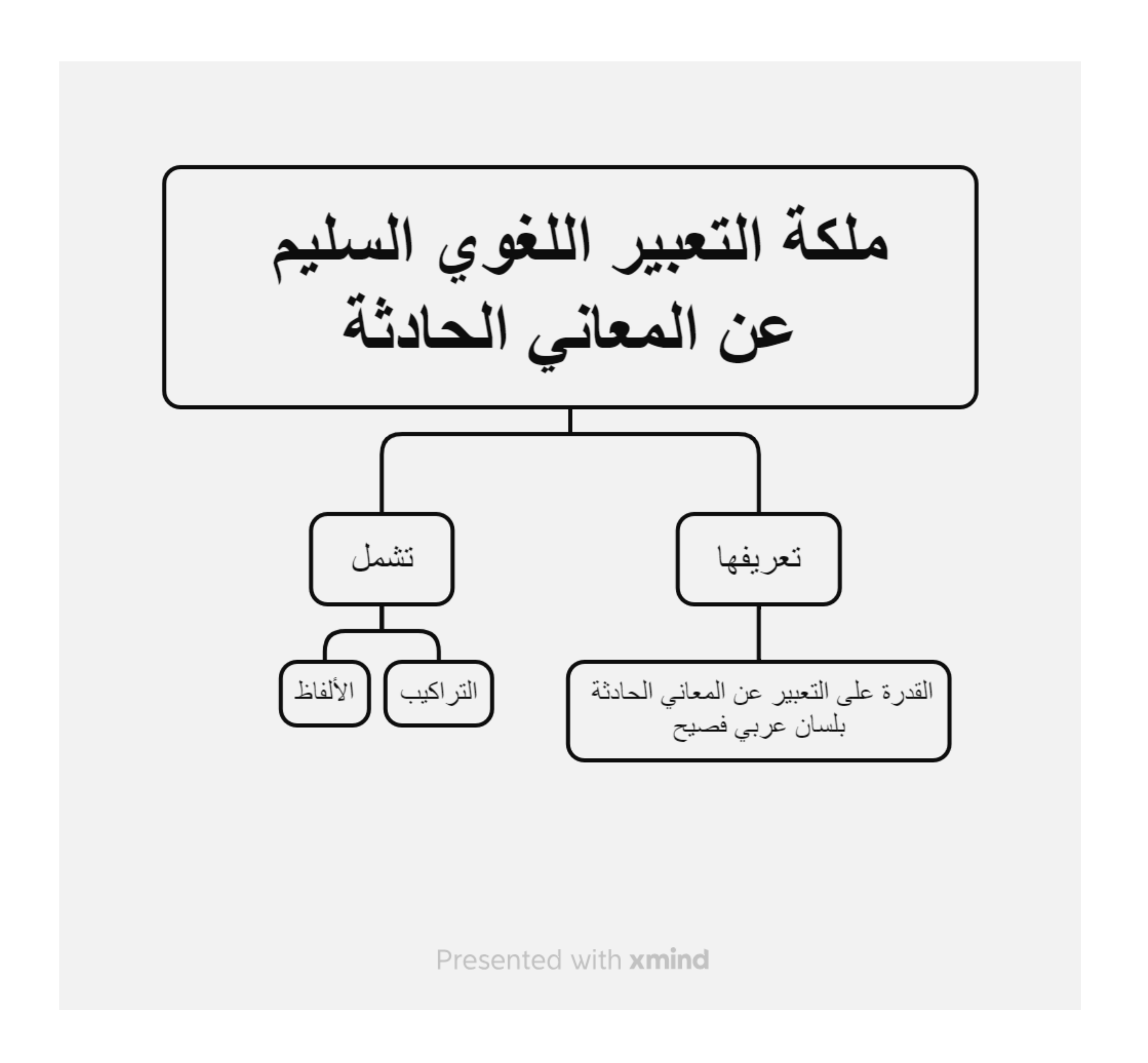
ولا شك أن من هذه الترجمات ما هو صحيح فصيح، لا غبار عليه.

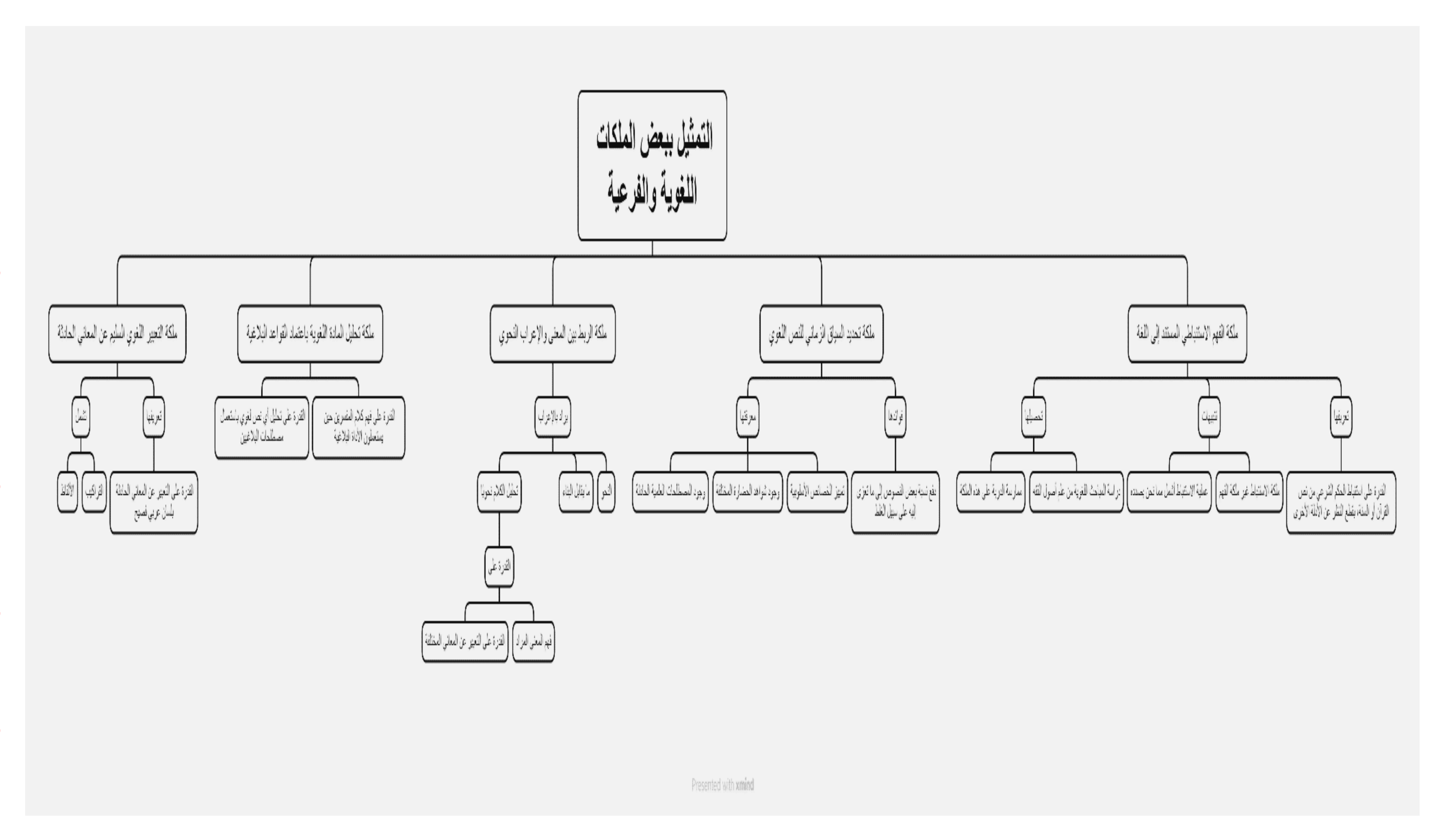
وأما الألفاظ، فإن ما يجدّ في الحضارة الغربية الحديثة كبير جدا، والمجامع اللغوية عاجزة عن مواكبة هذا الفيض الاصطلاحي الوافد. ولذلك فإن من الواجب أن يهرع محبو العربية من عموم الكتّاب إلى وضع الألفاظ المستحسنة الملائمة، ولا ينتظروا اتفاق مجامع اللغة عليها. فإن نكصوا عن فعل هذا الواجب، تركوا الحلبة لضعاف الإعلاميين المتغربين، يسرحون فيها أنى أرادوا!

ولأجل ذلك كان تحصيل هذه الملكة في غاية الخطورة والأهمية.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات[49].

49 راجع ملحق قائمة الكتب المقترحة للقراءة في اللغة والأدب في آخر كتاب تكوين الملكة اللغوية، مع الترشيحات التي أوردها في كل مبحث، وفي كتاب السبل المرضية أيضًا قوائم أدبية ولغوية مفيدة للقارئ يحسُن العودة إليها لمن أراد الاستزادة.


ملكة التعبير اللغوي السليم
عن المعاني الحادثة
تعريفها
تشمل
القدرة على التعبير عن المعاني الحادثة
بلسان عربي فصيح
التراكيب
الألفاظ
Presented with xmind


التمثيل ببعض الملكات اللغوية والفرعية
ملكة الفهم الاستنباطي المستند إلى اللغة
تعريفها
القدرة على استنباط الحكم الشرعي من نص القرآن أو السنة بقطع النظر عن الأدلة الأخرى
تنبيهات
ملكة الاستنباط غير ملكة الفهم
عملية الاستنباط أشمل مما نحن بصدده
تحصيلها
دراسة المباحث اللغوية من علم أصول الفقه
ممارسة الدربة على هذه الملكة
ملكة تحديد السياق الزماني للنص اللغوي
فوائدها
دفع نسبة بعض النصوص إلى ما تعزى إليه على سبيل الغلط
معرفتها
تمييز الخصائص الأسلوبية
وجود شواهد الحضارة المختلفة
وجود المصطلحات العلمية الحادثة
ملكة الربط بين المعنى والإعراب النحوي
يراد بالإعراب
النحو
ما يقابل البناء
تحليل الكلام نحويا
القدرة على
فهم المعنى المراد
القدرة على التعبير عن المعاني المختلفة
ملكة تحليل المادة اللغوية باعتماد القواعد البلاغية
القدرة على فهم كلام المفسرين حين يستعملون الأداة البلاغية
القدرة على تحليل أي نص لغوي باستعمال مصطلحات البلاغيين
ملكة التعبير اللغوي السليم عن المعاني الحادثة
تعريفها
القدرة على التعبير عن المعاني الحادثة بلسان عربي فصيح
تشمل
التراكيب
الألفاظ
Presented with xmind

ملحق كتب ومقالات ومحاضرات نافعة في تعلم الأدب:

قليلًا من الأدب – د. عادل بن أحمد باناعمة

قراءة التراث الأدبي: صوى ومعالم – د. عبد الله بن سُليم الرُّشَيد

صناعة التذوق الأدبي: عوامل وعوائق وإضاءات – أ. أحمد بن حسن الصاطبي

خرائط المتأدبين: خطة مقترحة لتطوير مهارات الكتابة الأدبية – أ. ماجد البلوشي

السبيل إلى البيان – د. فيصل المنصور (نسخة صوتية)

عبقرية العربية – أ. وجدان العلي

ما لا يسع الأديب جهله – أ. أيوب الجهني

فهم أشعار العرب – أ. عثمان العمودي

تذوق الشعر – أ. عبد الرحمن النحياني

مهارات القراءة الجردية في كتب الأدب – أ. عبد الرحمن النحياني

موسوعة اللغة العربية – الدرر السنية

محاضرات السؤالات الأدبية – مدارج الأدب